سياسة عربية
كل الحقيقة للجماهير

الهدف
AL HADAF



لا للبلطجة الأمريكية!

شرعية القوة تدير ظهرها للشرعية!

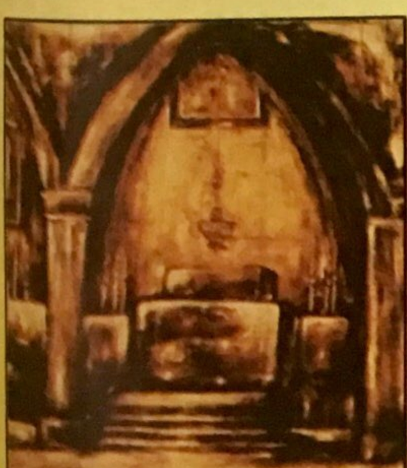
العدد ١٢٧٦/٢٢ ...اط السنة الثا...
AL HADAF No. 1276 ... 22/2/1998

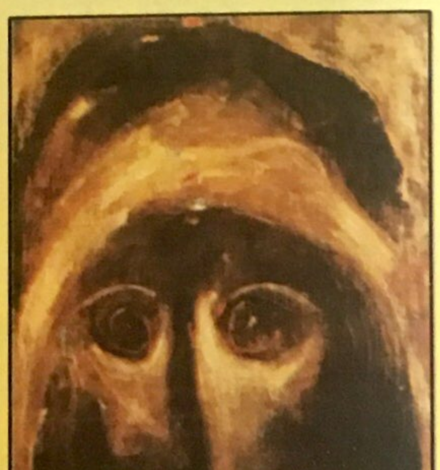
أعمال التشكيلي جورج بيلونه:

أيقونات «قديمة» تحكي تداعيات الزمن؟

علي الكردي







ثمة شيء، غامض وغير محسوس تلامسه لوحة الفنان جورج بيلونه، وهذا الأمر لايمكن للمتلقي إدراكه للوهلة الأولى بوضوح كافٍ، لكن، يمكن تحسّسه وهو - على الأغلب - ما يجعلُ لوحته مرغوبة، كما لوحة حمود شنتوت، أو محمد الوهيبي... إذ لديه لغة بصرية لها خصوصيتها التي تحاكي جوهراً ما في حياتنا إنسانياً وجمالياً، وتمسّه بشكلٍ ما، مما يجعلها قريبة من القلب والعقل معاً.

حول تلك الخصوصية التي تتمتع بها لوحة بيلونه، رغم صغر سنه قال لنا الفنان: برأيي العمر ليس له علاقة بالخصوصية، الخصوصية لها علاقة بتجربة الفنان، أو بمجموعة التجارب التي تجعله في النهاية يتخذ قرارا لنمط عمل ما يشتغل عليه، ثم تأتي حساسية الفنان ورؤيته للأشياء لتلعب دوراً مهماً، فانا أعتبر نفسي مجرَباً، وأحياناً أتقلَب في العمل نفسه بين جو وآخر لأصل إلى ما أريد.

وحين سألناه: ألا ترى أن مسألة توظيف الأيقونة، ومعالجة الأختام بطريقتك يضفي مثل هذه الخصوصية على أعمالك؟! قال: أنا أتناول الأيقونة، ليس بشكلها الديني المباشر، وإنما بشكلها الفني، وربما بشكلها التقني. فن الأيقونة، فن شرقي قديم وعظيم، تناوله عدد كبير من الفنانين المهمين الذين شكَلوا تياراً، أو مدرسة سُمّيت بعدة أسماء، لكنني أتناول الأيقونة بمفهومها التجريدي، وطبعاً أستفيد كثيراً من التقنية الموجودة في فن الأيقونة وأوظفها في عملي ضمن حساسية معينة.

وحول استخدامه الحروف اللاتينية، لا العربية، على طريقة بعض الحروفيين الذين يودون ترسيخ الإتجاه الحروفي في اللوحة العربية قال: الحرف عندي ليس مقروءاً، وإنما تجريدي، ليترك إحساساً بالوثيقة، وكما تلاحظ اللوحة عندي لكأنها جدار قديم، أكله الزمن حيث تشعر برائحة الرطوبة من خلال التأثيرات البسيطة التي أضعها (كرسي ، نقوش ، أختام)... هذه المفردات تخدم الشيء الذي أقدمه، وكل هذا يندرج في إطار التجربة التي بدأتها في معرضي السابق، والآن أحاول أن أطوّرها.

عن الإنسان الحاضر في لوحات بيلونه بتجلَياته، وحالاته النفسية والجسدِية المختلفة، وعن المرأة بشكلٍ خاص التي تشغل مساحةً هامة في أعماله قال: الإنسانَ عنصر مهم في عملي، لأنه أساساً محور كافة المسائل والرموز والتفاصيل التي نتحدَث عنها، أما المرأة، فهي عالم كبير وغامض بالنسبة لي ولأي مبدع. المرأة هاجس، مهما تعرَف عليه الفنان، يشعر أنه بحاجةٍ لأن يكتشفه أكثر، ويغوص في عوالمه أكثر فأكثر...

وعمّا إذا كان يشتغل بشكلٍ تعبيري؟ قال: لا أستطيع أن أصنَف لوحتي ضمن مدرسةً معينة، لكن، ثمة شيء من التعبيرية في أعمالي، وهذا صحيح. أحياناً يقولون لي: ليس من المفترض أن تعطي اللوحة إحساساً بالقديم، لكنني أستمتع بتوصيل هذا الإحساس، وليس لدي خوف من اجترار الماضي، لأنني وحسب وجهة نظري أقدَم الموضوع بشكلٍ معاصر، وبرؤية جديدة. صحيح أن الموضوعات موجودة، ومطروقة، لكنني أحاول نبشها وتقديمها بشكلٍ جديد، وأعتقد، لهذا السبب أحبَّ الناس لوحاتي، لأنها تحرّك مشاعرهم، وتعود بهم لبساطتهم وطفولتهم!

وحول حس «الفوتوغراف» المستخدم في بعض اللوحات قال: في الحقيقة كل الأعمال مبنية على أساس «الفوتوغراف»، فانا أحب الفوتوغراف، وشغل الغرافيك في اللوحة، لذلك تجد كل الألوان فيها أسود وأبيض، واللون موظف ضمن لمسةٍ معينة، أحياناً تفاجأ، بأن ثمة نقطة حمراء أو زرقاء هنا أو هناك، لكن اللون الطاغي عليها هو الأسود والأبيض.

بيان سياسي صادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

عقد المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين دورة اجتماعات ناقش خلالها تطورات الوضع السياسي على كافة المستويات الفلسطينية والعربية والدولية. خاصة بعد التصعيد الخطير للموقف في منطقة الخليج، وإصرار الإدارة الأميركية على شن عدوان عسكري جديد على العراق مؤكداً على مايلي:

أولاً: إن الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى الرغم من اتساع دائرة القوى العربية والدولية المطالبة بفك الحصار الظالم عن شعب العراق ورفضها لعدوان عسكري جديد، فإنها لازالت تواصل ذات السياسة الإستعمارية الهادفة إلى الهيمنة على الأمة العربية بحاضرها ومستقبلها، وفي الوقت الذي تطالب فيه الإدارة الأميركية والبريطانية بشكل مخادع ومكشوف بالتطبيق الحرفي لقرارات مجلس الأمن وتحت تهديد السلاح وسياسة القتل والتدمير، فإنهما تتواطآن كلياً مع اسرائيل في تحديها الدائم ورفضها المستمر للقرارات الدولية وتوسيع دائرة امتلاكها لترسانة هائلة من أسلحة الدمار الشامل التي تهدد الأمة العربية وشعوب المنطقة.

لقد بدأ العالم يدرك أن السياسة الأمريكية والبريطانية إزاء العراق، ليس هدفها البحث عن أسلحة عراقية وتطبيق برنامج التفتيش الخاص بالأمم المتحدة، بل هدفها الحقيقي هو المزيد من تدمير إمكانات وطاقات الشعب العراقي المادية والمعنوية لكي لا تقوم له قائمة لعشرات السنين، وإبقاء الأوضاع متوترة في منطقة الخليج لزرع الخوف لدى دوله واستنزاف أموالهم وثرواتهم، وتبرير استمرار وتكثيف التواجد العسكري الأمريكي المباشر هناك.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إذ ترحب بالموقف الدولي والعربي الداعي لرفض العدوان والبحث عن حل سياسي وخاصة موقف روسيا والصين وفرنسا، فإنها تدعو الدول العربية إلى اتخاذ موقف أكثر حزماً ضد التحالف الأمريكي - البريطاني - الإسرائيلي لحماية شعب العراق وإدراك أبعاد ومخاطر الحلف الجديد قبل فوات الأوان لأن ما يجري الإعداد له يستهدف تدمير وتمزيق وحدة العراق أرضاً وشعباً وسيادة. وليس هذا فحسب بل يستهدف كذلك محاولة تحطيم وكسر حلقات الصمود العربية التي تقف في وجه السياسة الأمريكية والمطامع الصهيونية، والعدوان على العراق لايمكن عزله عن الدعم الأمريكي والدفع باتجاه تعزيز وتوسيع التحالف العسكري - الإسرائيلي - التركي الهادف إلى إقامة أحلاف جديدة للضغط على سوريا ولبنان وإيران كحلقات تتصدى لمحاولات الهيمنة على المنطقة.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تدعو الأمة العربية وشعوبها وقواها الحية والمخلصة للتحرك الجماهيري وبمختلف الأشكال للتعبير عن التضامن مع شعب العراق الشقيق.

ثانياً: كما توقف المكتب السياسي أمام مايجري على الصعيد الفلسطيني، واعتبر أن استمرار المفاوضات بين السلطة الفلسطينية والعدو الصهيوني لم يعد له أي معنى، ولايخدم سوى سياسة «اسرائيل» في التضليل والخداع والمناورة داعياً إلى:

- وقف هذه المفاوضات التي تحولت إلى مهزلة تغطي سياسات اسرائيل وتشيع مناخاً كاذباً عربياً واقليمياً ودولياً يضعف أية محاولات للإسناد الجاد والفاعل لشعبنا وقضيتنا الوطنية.

- البدء في حوار وطني شامل وجاد ومسؤول تشارك فيه كافة القوى والإتجاهات والشخصيات الفاعلة في مسيرة شعبنا التحررية بهدف تحقيق إجماع وطني حول برنامج وطني شامل ومتفق عليه يقوم على قاعدة التمسك بكامل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

- وقف التنسيق الأمني، ووقف ملاحقة المناضلين والإفراج عن كل المعتقلين السياسيين بما يوفر المناخات الإيجابية التي تساعد في إنجاح الحوار الوطني الشامل ومما يشكل رسالة صريحة للإسرائيليين والأمريكان على حد سواء بأن كل الخيارات الكفاحية مفتوحة أمام شعبنا وبأننا جادون في رص صفوفنا واستنهاض الطاقات الكفاحية لجماهير شعبنا وأمتنا.

كما أكد المكتب السياسي على دعوته للفصل بين مؤسسات سلطة الحكم الذاتي ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية وإعادة الإعتبار لدور المنظمة ببرنامجها وميثاقها الوطني وتفعيل مؤسساتها كممثل لمجموع الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات وذلك من خلال الإعداد لتشكيل مجلس وطني فلسطيني جديد منتخب حيث أمكن ذلك بتمثيل شامل لكل تجمعات شعبنا على أساس معايير الكفاءة والنزاهة والالتزام، تشارك به كافة القوى لرسم استراتيجية المستقبل والخروج من الحالة الراهنة. ودعا المكتب السياسي الجماهير الفلسطينية إلى تصعيد المقاومة ضد الإحتلال بكافة الأشكال لأنها الطريق الأساسي لاستعادة الحقوق الوطنية والقومية.

ثالثاً: إن المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وارتباطاً بالتحديات الكبرى التي تواجه الأمة العربية، فإنه يدعو الدول العربية إلى ضرورة التشاور لعقد قمة عربية استثنائية عاجلة بهدف تحقيق مصالحة عربية - عربية ودراسة السبل الكفيلة لمواجهة المخاطر المحدقة بالجميع. كما يدعو كل الدول العربية للمبادرة إلى رفض وإنهاء القرارات الجائرة بحصار العراق وليبيا والسودان بعد الإفتضاح الكامل للسياسة الأمريكية ومعاييرها المزدوجة في تطبيق القرارات الدولية.

الهدف AL-HADAF

«الهدف» ٢٢ شباط ١٩٩٨ - العدد ١٢٧٦
السنة الثامنة والعشرون - الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1276 - 22/2/1998

سياسية عربية ـ تصدر مؤقتاً كل أسبوعين



كلمة

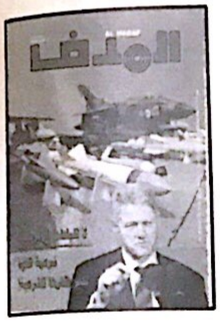
أسوأ ما تكشف عنه الأزمات الأخيرة التي تعيشها المنطقة، أن العجز العربي وصل إلى حد أصبح معه العرب لا يملكون عملياً حلولاً لمشاكلهم بأنفسهم. هذا ما نراه على صعيد الأزمة الراهنة في الخليج، كذلك في عملية التسوية العربية ـ الاسرائيلية وعلى كافة مساراتها... وغيرها وغيرها من المصائب التي تعصف بالوطن العربي الكبير، حيث أصبحت الحلول الممكنة تأتي من عواصم أوروبية أو بالأحرى من ما وراء الأطلسي.

طبعاً هذه الحقيقة المرعبة ليست بنت يومها، فمنذ سنوات والدعوات تصدر للزعامات العربية لتنجز ولو حداً أدنى من التضامن القومي لتستعيد ولو بشكل بدائي القدرة على المبادرة. لكن من الواضح أن النظام العربي الرسمي أظهر عجزاً واضحاً عن تحقيق هذه المهمة التي لا غنى عنها قبل صياغة أي برنامج مقاومة عربي.

والسؤال الذي يبرز منذ فترة: هو هل نستسلم لهذا القدر؟، وهل أصلاً نستطيع أن نفعل شيئاً لمواجهته؟ بالتأكيد تستطيع الأنظمة العربية الرسمية لو ارادت فعل الكثير، لكننا سنقصر حديثنا هنا على الناحية غير الرسمية في المواجهة.

فلو انطلقنا من أن الدول الكبرى تفعل ما يحلو لها في المنطقة انطلاقاً من قناعتها أن مصالحها فيها لن تكون معرضة للخطر، اذن لو استطعنا تهديد مصالح البلدان التي تتبنى سياسات تتعارض مع الحقوق العربية، فإنها ستضطر لاعادة النظر في توجيهاتها. وهنا نجد أمامنا شعارات المقاطعة الشعبية لبضائع هذه الدول وعلى رأسها أمريكا. وهذا الشعار ممكن التطبيق بحيث يستطيع أن يمارسه كل مواطن في المنطقة، كل ما عليه هو الامتناع عن تدخين السجائر الأمريكية، أو لبس الملابس الأمريكية، أو شراء السيارات والكهربائيات الأمريكية. وحبذا لو تدخلت أحزاب حركات التحرر بقوة في هذه المعركة لتنظم حملة تحريض واسعة لتجعلها هاجساً يومياً للمواطنين العرب رجالاً ونساء، أطفالاً وشيوخاً.

ويخطر في البال هنا الدور الذي تستطيع أن تمارسه المراجع الدينية العربية، أوليس أضعف الإيمان أن تصدر دعوات لتحريم شراء وبيع واستهلاك بضائع الدول التي تعادي العرب؟! ■■



موضوع الغلاف:
لا للبلطجة الامريكية!
شرعية القوة
تدير ظهرها للشرعية!
صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

■ الرهان الفلسطيني ينتهي الى كارثة ٨
■ الاستيطان في القدس وحدود الكارثة ١٠

شؤون عربية

■ نعم وحدة العراق مقدسة ١٤
■ العراق: هل تتجاوز روسيا حدود الكلام؟ ١٦
■ الهجوم الامريكي على العراق: للحقيقة وجه آخر ١٨

شؤون العدو

■ اسرائيل والأزمة الامريكية العراقية: استثمارها في مواجهة عملية السلام وتدعيم الدور الاقليمي ٢٠
■ اكثر من عام ونصف على حكومة نتنياهو والوضع على حاله ٢٢
■ اسرار العقل الصهيوني قراءة وتعليق ٢٦
■ ندوة بمناسبة مائة عام على انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول ٢٨

الهدف الثقافي

■ مفهوم الرمز الديناميكي وتجربة الشعر الفلسطيني الحديث ٣٤
■ سينما «بونويل» في مهرجان دمشق السينمائي العاشر ٣٧
■ قراءة في كتاب فيصل حوراني «الوطن في الذاكرة» ٣٨
■ مسلسل الانهيار: الطموح وانكسار الاحلام ٤٠
■ قصة قصيرة ٤١

مرايا هذا الزمان

الفضيحة أننا فضيحة

- نصار ابراهيم -

نظرت في المرآة وكدت أردد قول الحطيئة الشهير «أرى وجهاً...» لكنني تراجعت في آخر لحظة وابتسمت، ليس لأنني وسيم، كما قد يتوهم البعض، بل لأنني تخيلت وجه الست مونيكا يراودني.

وابتسمت أكثر وأنا أتخيل سيدة العالم الأولى «هيلاري» تندفع كاللبوة لتدافع عن شرفها المهان، بروح فارسة من القرون الوسطى ولسان حالها يردد بعربية فصحى:

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

الست مونيكا أشعلت الحرب في ردهات البيت الأبيض، أما نتائج القُبلة أو ما هو أقل أو أكثر فقد تطاير شرارها فأشعلت النار في أذيال أثوابنا وبيوتنا.

هنا تبلغ الفضيحة ذروتها، لو انتظرت مونيكا قليلاً، فقط بضعة أيام أو شهراً على أبعد حد، لأفسحت الفرصة أمام كلينتون العاشق ليضغط بكلتا يديه على عنق نتنياهو.

ولكن للأسف ضاعت الفرصة وكان الثمن المزيد من المستوطنات في القدس وجبال وسهول ومدن وقرى فلسطين المحتلة.

ولكن مهلاً. من قال بأن الفرصة قد ضاعت نهائياً، فقد سمعت أن شعبية كلينتون تجاوزت ٧٠٪ هذه الأيام بعد القصف الثقيل الذي قامت به هيلاري دفاعاً عن الرئيس.

والفضيحة أننا فضيحة مادمنا نحلل ونحاكم السياسة الأمريكية على أساس فكرة المؤامرة. ما إن وصلت بي الأفكار إلى هذه النقطة، حتى عاد الحطيئة يُطل برأسه وشِعره.

عفواً «الحكاية مش راكبة» في رأسي، هناك خطأ ما..

ورحت أبحث وأقلب الفكرة يميناًوشمالاً، ثم أركلها للأعلى إلى أن سقطت الحقيقة أمامي كصاروخ «توما هوك».

الأمريكان حمقى. نعم حمقى، بدءاً من الرأي العام، مروراً بأساتذة القانون، وصولاً إلى جلالة السلطةالرابعة، والانترنت كسلطة خامسة، حمقى ومنافقون أيضاً.

إنهم يدعون التحرر الجنسي، ثم يقيمون العالم بسبب قُبلة، أو لمسة أو همسة. وفوق هذا لايتركون مناسبة إلا ويتهموننا بالتخلف والكبت. مع أن معظم أمرائنا وشيوخنا ووزرائنا يعرف الكبير والصغير مدى تحررهم في هذا الميدان وبأنهم لايفرقون بين جنس أو آخر، فقد ذهبوا بمفهوم المساواة حتى مداه الأقصى. ومرابع أوربا تشهد على ذلك فهي مربط خيلنا كما يقال.

ومع ذلك لاأحد يقيم الدنيا أو يقعدها، صحيح أن المواطن عندنا ينطبق عليه مثل القرود الصينية الشهير (لا أسمع - لاأرى - لا أتكلم).

وصحيح أن الحرية السياسية غير كاملة أو... أو مفقودة، ورغيف الخبز يفر كالممسوس، وكل بضع سنوات تطير شقفة من خارطة الوطن العربي، وأولبرايت تبقى تتصرف كإمرأة في كل بقاع العالم إلا عندما تطأ أقدامها بعض بلداننا فإذا بها «ست الرجال».

وصحيح أن نتنياهو لايترك مناسبة إلا ويُغير على مضاربنا فيسبي ويقتل... وصحيح أن بعض مياهنا ومطاراتنا تنطلق منها القاذفات والصواريخ لتدك بلداً عربياً آخر، ونفطنا يُنير أوروبا وأمريكا بينما ريفنا غارق في الظلام وصحفنا تنقل كل ما يدور في العالم باستثناء ما يجري عندنا... كل هذا صحيح، لكنه ليس المهم.

المهم أن نبدأ بداية قوية، المهم أن نملأ جزءنا السفلي حتى لو بقي الجزء العلوي فارغاً.

وماذا بعد، بقيت كلمة أو همسة أو تعديل بسيط، فالمواطن عندنا (يسمع ويرى ويتكلم على طريقته) فمن يضمن أن لاينفجر في لحظة ما. وحينها لاأحد يدري أين ستنتهي الأمور ولا حتى كلينتون ذاته.

الحدث

العدوان الأمريكي المتواصل

على العراق

منذ أسابيع والسؤال الذي يشغل الكثيرين هو: هل ستضرب الولايات المتحدة العراق أم لا؟ وبات تعبير «تضرب» أقرب إلى مفهوم البلطجة منه إلى مفاهيم الحرب والسياسة.

والسؤال لازال يبحث عن جواب قافزاً ككرة شيطانية في الأسواق والمقاهي وصولاً إلى غرف النوم. الساسة يتحدثون والخبراء يتوقعون والزعماء يتلفتون والعيون لا تفارق شاشات التلفاز.

حاملات طائرات، وطائرات تقلع وأخرى تهبط، بعضها مرئي وبعضها كالأشباح.

ولكن، هل ستضرب أمريكا أم لا؟

وما الفرق إذا كانت النتيجة واحدة؟!

شرعية القوة تدير ظهرها للشرعية!

نصار ابراهيم

منذ حرب «عاصفة الصحراء» على العراق عام ١٩٩١ وأمريكا كل بضعة أشهر تثير العواصف في الشرق الأوسط، ويخطئ من يتوهم أو يعتقد بأن «الحسبة» الأمريكية عنوانها العراق، فأمريكا تعرف أكثر من غيرها حال العراق وقدراته.

في واقع الأمر لم يعد العراق بالنسبة للولايات المتحدة أكثر من ذريعة تستخدمها عندما تجد نفسها في مواجهة متغيرات أو تحديات قد تضر باستراتيجيتها في المنطقة، بل وأكثر من ذلك، ذريعة لاختبار متانة تلك الاستراتيجية على الصعيد العالمي. بكلمات أخرى حقل اختبار لاستقراء أو لضبط ردود الأفعال بعيداً عن خطوط التماس الحساسة.

إذن ما هي الدوافع الحقيقية وراء التصعيد الأمريكي ضد العراق في هذه المرحلة؟ هل اكتشفت الولايات المتحدة فجأة أن للرئيس صدام حسين قصوراً لتخزين أسلحة الدمار الشامل؟

وهل تريدنا أن نصدق بعد سبع سنوات من الحصار والتدقيق والتفتيش بأن العراق لايزال يملك وينتج أسلحة الدمار؟ وإذا صدق ذلك فماذا كانت تعمل كل تلك الطواقم من المفتشين على مدار سبع سنوات يا ترى؟!

إن سبع سنوات من التفتيش والتدمير كفيلة بتصفية ترسانة الولايات المتحدة ذاتها. فما بالنا العراق.

لهذا نستغرب وتصيبنا الدهشة عندما نقرأ أو نسمع ردود الأفعال على الغطرسة الأمريكية وعدوانها السافر. وسبب دهشتنا يكمن في أن ردود الأفعال تلك تدور بالضبط ضمن الدائرة التي ترسمها الولايات المتحدة من نوع:

على العراق أن يسمح للجان التفتيش العمل بحرية، وعليه أن ينفذ قرارات مجلس الأمن، وعليه أن لا يتألم أو يحتج. وإلا فإن أمريكا ستعلن الحرب. وتنتشر الحمى في المنطقة والعالم، اتصالات، لقاءات، جولات، حشودات عسكرية واستقطابات...

هكذا نعود للسؤال مرة أخرى، ما الذي دفع الولايات المتحدة لقرع طبول الحرب في هذه الأيام؟

لنعد بالذاكرة قليلاً إلى الوراء، ونتأمل.

سنجد أن ما يُسمى عملية السلام التي تقودها الولايات المتحدة في المنطقة تعيش مأزقاً حقيقياً، وفقدت زخمها الابتدائي. يتجلى ذلك في فشل أمريكا واسرائيل في اختراق الجبهة السورية الصامدة عند مواقفها، ونجاحها في تشكيل بؤرة جذب لقوى الممانعة العربية والشعبية، كاشفة بذلك حقيقة الدور الأمريكي والمفهوم الاسرائيلي للسلام.

الحقيقة المشار لها وضعت المشروع الأمريكي - الاسرائيلي أمام جدار صلب، الأمر الذي لم تقف نتائجه عند مستوى حماية الجبهة السورية - اللبنانية، بل والذهاب لما هو أبعد، البرهنة العملية على فشل وسطحية الهرولة التي أسفرت عن اتفاقات أوسلو ووادي عربة على الجبهتين الفلسطينية والاردنية.

نجد ترجمات الفشل المشار له في المأزق الصعب الذي وصل إليه خيار أوسلو، ذلك الخيار الذي تخطى حقائق الصراع وبديهياته، وشكل منصة قفز لاسرائيل لفرض شروطها وحقائقها سياسياً وميدانياً.

وعلى المستوى الاردني تلاشت الأوهام والوعود عن خيرات السلام المزعوم كفقاعات الصابون.

أما على المستوى الاسرائيلي، فلم تترك سياسة الليكود أي هامش للمناورة، حيث دفع نتنياهو بالمعادلات نحو مداها الأقصى، سواء على صعيد الاستيطان، أو الارتداد عن الاتفاقات الموقعة، أو على صعيد حصار واستنزاف سلطة الحكم الذاتي.

المأزق الذي وصلت إليه العملية السلمية على مختلف المسارات وضع علامات استفهام متزايدة حول قدرة الولايات المتحدة على

تخطي تلك العقبات، ليس هذا فحسب بل وتصاعد الشك وصولاً إلى فقدان الثقة بإمكانية نجاح المشروع الأمريكي.

ترتب على ذلك نشاطية أوروبية متزايدة وخاصة من قبل فرنسا، في محاولة للعب دور أكثر حضوراً واحتراماً في المنطقة، وعلى الرغم من بقاء ذلك الدور دون الثقل السياسي والاقتصادي الذي تمثله أوروبا إلا انه يؤشر إلى جدية المأزق الأمريكي.

هكذا تشكلت عناصر المأزق الشامل، عناد وتعنت اسرائيلي، صمود سوري-لبناني، تصاعد الممانعة الشعبية العربية، مأزق على مسار أوسلو، وفقدان زخم اتفاق وادي عربة، توج كل ذلك بانحياز أمريكي سافر لتغطية التعنت الاسرائيلي عبر إزاحات متتالية في السياسة الأمريكية التي بقدر ما كانت تقترب وباستمرار من سياسة نتنياهو بقدر ما كانت تفقد هيبتها وتبتعد عن مبادىء مؤتمر مدريد، مما أدى إلى تآكل الصدقية الأمريكية المشكوك فيها سلفاً.

ما تقدم لم يقف عند حدود الملاسنات السياسية والاعلامية، بل أخذ يتحول إلى ديناميات مواجهة متصاعدة شعبياً ورسمياً، مع حفظ المسافة الممتدة بينهما. وأهم محطات هذه العملية كانت مؤتمر الدوحة الاقتصادي، والقمة الاسلامية في طهران.

اهتزاز السياسة الأمريكية ومشروعها للتسوية وتماهيه مع المشروع الاسرائيلي شكل العنصر الأساس في اعادة التذكير بحقيقة الصراع والاشتباك التاريخي مع المشروع الصهيوني.

هذا الأمر أخذ يؤسس لديناميات وملامح جديدة تمثلت في المساس بالبديهية التي تحرك الولايات المتحدة منذ انهيار الاتحاد السوفييتي نقصد: مقولة أمريكا كقوة مهيمنة عالمياً، أو ما أطلق عليه نظام القطب الواحد، أو النظام العالمي الجديد.

حيث باتت تتصاعد نبرة أوروبا بحثاً عن دورها المهمش، وشهدت روسيا حركة ولو بطيئة نحو التماسك واعادة الاعتبار لدورها المفقود والمهان، وتحرك الصين لفرض نفسها كقطب جبار... إلى جانب ذلك يأتي تزايد ثقل الدور الايراني ومتانة التحالف مع سوريا.

هذه هي الخلفيات العامة، للوحة المواجهة الآن ان جاز التعبير.

أمام هذه الحقائق كيف ستعيد الولايات المتحدة الاعتبار لذاتها؟ وكيف ستعيد تذكير الآخرين بسطوتها وذراعها الضارب؟

وعطفاً على ذلك كيف ستعيد خلط الأوراق وتسعير الصراعات الجانبية؟

الحل أكثر من سهل والذريعة الضحية جاهزة. إنها العراق.

فالمواجهة مع العراق نتائجها محسومة، هذا أولاً، وثانياً ستتم اللعبة وفق الأصول الشكلية (قرارات مجلس الأمن والشرعية الدولية).

وثالثاً: تتمزق من جديد أي محاولة للم الواقع العربي المشتت.

ورابعاً: احياء الأحقاد والغرائز وتذكير بعض الأنظمة بحجمها وحدودها. وبأنها دائماً في دائرة الخطر، وعليها أن تبقى باستمرار تحت المظلة الأمريكية.

وخامساً: حرف الأنظار عن اسرائيل وسياساتها العدوانية بعد أن تشكل ما يشبه الاجماع الدولي ضدها.

وسادساً: تذكير أوروبا وغيرها بأن لا تعبث مع أمريكا فهي القوة الوحيدة القادرة دولياً على اشعال الحرب أو إطفائها عند بحر النفط العربي، فحذار.

وسابعاً: ضرب أي محاولة أو أمل بتشكيل جبهة ايرانية - عراقية - سورية. وفي هذا السياق يمكن فهم معاني وأبعاد الحلف الاسرائيلي - التركي المسنود أمريكياً.

وثامناً: يشكل العراق نموذجاً مناسباً لتأديب من يفكر بالخروج على قانون القوة الأمريكي.

اذن ما يحرك أمريكا ليس امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل أو سواه، وانما باعتباره الواجهة المناسبة لسياسات أبعد.

وعليه يمكن القول أن الضربة الأمريكية ممكن أن تتم وممكن أن لا تتم، وهذا يعود إلى تقييم الولايات المتحدة لنتائج تصعيدها على مختلف محاور سياساتها الأشمل، فإذا تحققت النتائج ووصلت الرسائل المعلنة والمضمرة، فليس من داع للحرب، وهي بهذا لا تخسر شيئاً وتكون قد حقّقت أهدافها، وباعت العالم موقفاً بأنها قبلت بالحل الديبلوماسي.

وهكذا كلما اختلت المعادلات فالأساطيل والطائرات جاهزة والذريعة موجودة. وإذا لم يتم ضرب العراق الآن فسيُضرب في المرة القادمة.

هذا ما يفسر لنا ذلك التناقض المضحك في السياسة الأمريكية المتمثل باصرارها على ضرب العراق باسم الحفاظ على السلام والشرعية الدولية، حتى لو أدى ذلك إلى مواجهة دولية تطيح بالسلام والشرعية الدولية. وإلا كيف نفهم استهتار الادارة الأمريكية برد الفعل الروسي والفرنسي والصيني ومعظم بلدان العالم وشعوبه، عدا عن الرفض الشعبي العربي ومعظم الدول العربية للعدوان الأمريكي.

والآن ما العمل أمام هذه اللوحة المتشابكة التي يتحرك عليها اللاعبون بخيوط قد لا تبدو مرئية بما يشبه مسرح العرائس؟

وسؤال ما العمل موجه لنا نحن العرب، حيث برهنت حركة الأحداث حتى الآن على أننا اللاعب الأضعف، ان لم نقل نحن الملعب الذي يركض عليه اللاعبون.

ان أفضل ورقة في يد أمريكا ليس قوتها العسكرية على أهميتها بل تصرف العرب بعقلية المهزوم سلفاً. والذعر عند التفكير بامكانية المواجهة مع أمريكا ورفض منطقها وسياساتها، لهذا تتصرف الأخيرة بمنطق الواثق: تهدد وتتوعد، وتطلق النار دون أن يرف لها جفن.

والأخطر من ذلك أن العرب هم الوحيدون تقريباً الذين يتعاطون وبما لا يقبل الجدل على أساس أن أمريكا هي قولاً وفعلاً القوة المهيمنة والقطب الجبار الأوحد في العالم.

روسيا رغم هزالها لم تقر بذلك، وأيضاً فرنسا، واليابان، والصين، وحتى جنوب أفريقيا التي تحررت من نظام الفصل العنصري منذ وقت قريب ترفض منطق رعاة البقر الأمريكي، وكوبا تقف بكرامتها تتحدى وغيرها عشرات الدول والشعوب.

نحن فقط الذين نخاطب أمريكا «أنت سيدة العالم»، ومعظم أنظمة الحكم لدينا تخاطبها بلغة الاحترام، في الوقت الذي تتجلى وتتجسد فيه سياسة أمريكا الأكثر بشاعة وعنصرية وفاشية ضدنا نحن العرب. كيف؟

○ اسنادها اللامحدود لاسرائيل ضد أماني وحقوق وكرامة الأمة العربية.

○ سياسة المكيالين المقيتة والمهينة. فالشرعية الدولية بالنسبة لأمريكا تقف حدودها عند مصالحها ومصالح اسرائيل. انها مستعدة لاشعال الحروب عندما يتعلق الأمر بقرار ضد العراق أو ليبيا أو السودان أو....

وتقف باسمة تقلب يديها وشفتيها بالنسبة لألف قرار وقرار تخرقه اسرائيل كل يوم وليلة. لنتذكر قرارات مجلس الأمن بشأن حق العودة للفلسطينيين، وانسحاب اسرائيل بدون قيد أو شرط من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وقرارات وقف الاستيطان، والقرارات بشأن القدس وحقوق الشعب الفلسطيني، والقرار ٤٢٥ للانسحاب من الجنوب اللبناني...

ـ أمريكا تبحث بالابرة عما يُسمى بأسلحة الدمار الشامل التي يقال بأن العراق يملكها، ولكنها للمرة الألف تدير لنا «قفاها» عندما يتعلق الأمر باسرائيل التي تملك أكثر من ٢٠٠ رأس نووي عدا الأسلحة الكيماوية والجرثومية...

وماذا بعد؟

فقط نريد كامة من زعمائنا وأحزابنا ومثقفينا أن يتخذوا موقفاً جدياً لمرّة واحدة (ولو للاختبار) بحيث يضع أمريكا أمام امتحان صعب. لتطبق قرارات الشرعية الدولية على الجميع ونحن العرب لن نترك شعبنا العراقي الحبيب هدفاً لجنون الولايات المتحدة وهوسها.

لنسلح العالم الذي يعاند الهيمنة الأمريكية بموقف عربي جدي يستندون له وهذا أضعف الإيمان■■

مباحثات واشنطن تنعي اتفاق أوسلو

الرهان الفلسطيني ينتهي إلى كارثة...

خليل جنداوي

كما كان متوقعاً لم تتمخض زيارتي كل من بنيامين نتنياهو وياسر عرفات إلى واشنطن في أواسط شهر كانون الثاني الماضي عن أي شيء ملموس جدياً، ومع ذلك أو بالأخرى بسبب ذلك يمكن تصنيف جولات المباحثات التي شهدها البيت الأبيض آنذاك على أنها أبرز حدث سياسي يشهده المسار الفلسطيني - الاسرائيلي منذ اتفاق أوسلو.

فالعملية السلمية التي عاشت مأزقاً شاملاً، وبكلام آخر عانت سكرات الموت طوال الفترة الماضية بسبب التعنتات والممارسات الاسرائيلية، كانت في حالة تسمى طبياً «الموت السريري» بانتظار تدّخل الراعي الأمريكي وهو أيضاً الوسيط والشريك... اجتماعات واشنطن الأخيرة وما تلتها من جولة لأولبرايت في المنطقة كشفت أن الطبيب الأمريكي ليس فقط عاجزاً عن إنقاذ السلام المحتضر، بل وجاهزاً أيضاً لتبني ثم ترويج وجهة النظر الاسرائيلية حتى لو أدى الأمر لموت المريض البائس.

أوسلو لفظ أنفاسه منذ مدة... بل ربما وُلد ميتاً... وها هي رائحته بدأت تفوح في أجواء المنطقة...

يحلو للكثيرين سواء من المنطقة أو من خارجها تحميل رئيس الوزراء الاسرائيلي مسؤولية تعطيل المسيرة السلمية، ويتهمونه بالعمل منذ وصوله للسلطة على تفريغ اتفاق أوسلو من مضمونه والإصرار على الاستمرار في خرقه، الأمر الذي كان سيؤدي حتماً إلى وأد تجربة السلام في مهدها. ورغم أن هذا الكلام فيه الكثير من الصدق والمنطق، إلا أنه يتضمن أيضاً تجنياً على الرجل. فأي تدقيق في الأمر سيكشف أن نتنياهو ببساطة لم يفعل سوى السير بالتفسير الاسرائيلي لأوسلو حتى نهايته.

من المؤكد أن أحد ابرز سلبيات اتفاق أوسلو هو تأجيله كل القضايا الجوهرية إلى مفاوضات الحل النهائي وهذا ما جعل «كل بند من بنوده يحتاج إلى اتفاق خاص به»، ومع ذلك استندت القيادة المتنفذة في م.ت.ف حينها لترويج الاتفاق على أنه لا يتضمن تنازلات حاسمة، على الأقل فيما يتعلق بالبرنامج المرحلي للمنظمة. واعتبر المدافعون عن الاتفاق أن قوة أوسلو تكمن بالذات في غموضه. إذن الرهان الفلسطيني آنذاك كان مغامرة حقيقية تستند على افتراض غير واقعي يقول أن كل القضايا المطروحة لمفاوضات الحل النهائي ستحسم لمصلحة التفسير الفلسطيني لأوسلو. وكأن الاسرائيليين سيدخلون هذه المفاوضات للتسليم فقط بالمطالب الفلسطينية.

الصخرة التي تحطمت عليها هذه الأوهام القاتلة كانت نتنياهو، صحيح أن تكتل الليكود قدوقف ضد الاتفاق في البداية، لكن من المؤكد أن زعيمه الجديد اكتشف بسرعة جنون لعبته، فإذا كان يريد الوصول للسلطة فهو لا يستطيع أن يرفض صراحة الاعتراف باتفاق قانوني وقعته الحكومة السابقة وصادق عليه الكنيست، وعندما دقق نتنياهو في الأمر اكتشف أنه يستطيع ببساطة أن يحارب أوسلو بأوسلو نفسه وحتى قانونياً لا يعتبر خارقاً أو ناقضاً للاتفاق، كل ما عليه عمله هو السير على نفس منهج سلفيه رابين وبيريز بتفسير الاتفاق كما يناسبهم.

نتنياهو ليس ضد السلام كما يروجون... بل هو مع السلام كما يفهمه هو ومن يمثل من شرائح واسعة جداً من الشارع الاسرائيلي، مع السلام بدون استحقاقات، بدون دفع ثمن، لذلك هو ليس مع مقولة الأرض مقابل السلام، بل مع معادلة السلام مقابل السلام.

وعندما كان معارضوه يهاجمونه بأنه يدمر العملية السلمية كان يرد بالقول بإنه سيحقق لاسرائيل السلام الذي تريد وربما أكثر وبثمن أقل حتى مما طرحه بيغن في كامب ديفيد. والعرب ومن ضمنهم الفلسطينيون سيقبلون في النهاية بما سيطرح عليهم. هذه المواقف ليست جديدة أبداً وبالتأكيد لم يصغها نتنياهو مؤخراً، بل كانت مطروحة للتداول لمن يرغب حتى قبل وصول نتنياهو للسلطة، لكن كثيرين فضلوا التعامي على هذا الواقع ...

التجربة العملية الأولى لأفكار رئيس الوزراء الاسرائيلي كانت في اتفاق الخليل فبعد شيء من الضغط قبل الطرف الفلسطيني الرسمي بأقل مما وقع عليه هو نفسه في إعلان القاهرة. قد يقول البعض إن سلطة الحكم الذاتي كانت تهدف أساساً من تنازلها إعطاء دفعة للعملية السلمية لتحصل على باقي مطالبها أثناء هذه السيرورة. لكن الخطيئة التي وقعت فيها القيادة الفلسطينية الرسمية هنا انها أكسبت مصداقية لسياسة نتنياهو القائلة بفرض التفسير الاسرائيلي المتشدد للاتفاقيات «والعرب سيقبلون»، من جهة أخرى فإن اتفاق الخليل سجل سابقة سيستند لها رئيس الوزراء الاسرائيلي في أطروحاته الأخيرة حول الحل النهائي، فإذا كانت القيادة الفلسطينية في الخليل قد قبلت بأقل مما تم الاتفاق عليه سابقاً من أجل السلام، فلماذا لا تقبل بتطبيق هذا المبدأ سواء في القدس أو حول السيادة أو المستوطنات... بل حتى بالنسبة لمراحل الانتشار اللاحقة التي تدخل ضمن المرحلة الانتقالية، وبالتأكيد من أجل السلام أيضاً.

يقول التفسير الفلسطيني - نقصد الرسمي طبعاً - لمأزق أوسلو أن مجيء نتنياهو للسلطة قلب الأمور رأساً على عقب وبدأت الانتكاسة، ولو استمر حزب العمل في الحكومة لتواصلت العملية السلمية. وهذا التفكير خطير بكل معنى الكلمة فهو يحيل القضية الفلسطينية للارتهان للناخب الاسرائيلي ولصناديق الاقتراع الاسرائيلية، علها تعيد حزب العمل للسلطة ويستأنف المسيرة التسووية. وعدا عن خطورة هذا الطرح فهو أيضاً غير صحيح، هل ننسى أن رابين هو أول من أطلق تعبير «المواعيد غير المقدسة»، وهو نفسه الذي فرض اتفاق القاهرة الذي يعتبر أول رضوخ

فلسطيني للتفسير الاسرائيلي لأوسلو، وأن خليفته سيد الاعتدال شمعون بيريز تلكأ طويلاً ثم أعلن عن عدم قدرته على تنفيذ تعهداته بالانسحاب من الخليل حتى لا يصدم الشارع الاسرائيلي. كذلك يجب أن نتذكر هنا دخول بيريز وقت الانتخابات الاسرائيلية العامة في سباق مع نتنياهو في المواقف المتشددة وخصوصاً حول القدس.

من جهة اخرى يجب ملاحظة أن نتنياهو هو التعبير الأكثر صدقاً عن تطور مزاج الشارع الاسرائيلي، ونشير في هذا السياق إلى ارتفاع شعبيته حسب استطلاع الرأي بعد كل جولة يظهر فيها تشدداً وتشبثاً برأيه. وهذا ما ظهر أيضاً مؤخراً بعد عودته من واشنطن حيث لم يستطع الرئيس كلينتون بكل عظمته أن يزحزح نتنياهو عن موقفه ليزيد ولو بقدر بسيط نسب الانسحاب المطروحة حتى يقبل بها الفلسطينيون على الأقل. وهذه الحقيقة تعني صراحة أن حزب العمل أيضاً إذا أراد العودة إلى السلطة، فعليه مسايرة التطرف السائد في الشارع، وبالتالي التشدد أكثر في وجه الفلسطينيين، الأمر الذي يحمل في طياته حتمية التراجع عن تعهدات سابقة قدمها زعماؤه.

إزاء هذا الوضع البائس الناتج عن سياسة نتنياهو الهجومية، كان من المفترض بالقيادة الفلسطينية الرسمية أن تتبنى استراتيجية صدامية مضادة تقوم على ترتيب البيت الفلسطيني واستعادة شيء من اللحمة بين فصائله المقاومة، والعمل بصورة دؤوبة والأهم من ذلك بشكل نظيف لتثوير الشارع الفلسطيني واستنهاضه لمواصلة المسيرة في كل مواقع المواجهة سواء في القدس أو في المناطق الأخرى المهددة بالاستيطان، وبالتوازي مع كل هذا، العمل على تصويب علاقات المنظمة مع العديد من الدول العربية لخلق جدار عربي صلب تستند له السلطة في معركتها. هذه السياسة كانت ضرورية على الأقل تكتيكياً بهدف احراج نتنياهو وإظهار عقم سياساته وليتأكد الشارع الاسرائيلي أن وجود نتنياهو في السلطة هو خطر على اسرائيل نفسها وأن الفلسطينيين لن يقبلوا باقل من سلام يحفظ لهم كل حقوقهم المستندة لقرارات الشرعية الدولية.

إذا فتشنا عن تفسير لعدم تبني القيادة الفلسطينية لهذه السياسة، لن نجد أي شيء مقنع، لكن من الواضح أن سلطة الحكم الذاتي فضّلت أسلوب دفن الرأس في الرمال كالنعامة إنطلاقاً من رهانها الذي وصل إلى حد الايمان بالإدارة الأمريكية. فبدعوى عدم إعطاء نتنياهو حجة لاتهام الطرف الفلسطيني بعدم التقيد بالاتفاق، إنساقت سلطة الحكم الذاتي للقبول بمطالبه، وكلما كانت ترضخ له في قضية كانت تثير شهيته ليلح عليها بالتنازل في مواضيع أخرى.

سذاجة القيادة الفلسطينية الرسمية قادتها



لفكرة تقول أن الراعي الأمريكي للمفاوضات الذي لن يسمح بانهيار عملية السلام، سيقدّر الانضباط الفلسطيني، وسيصل إلى وضع لن يحتمل فيه حتماً التعنت الاسرائيلي المتزايد، وسيضطر عندها للضغط على نتنياهو لإحياء أوسلو أو «لانقاذ اسرائيل من نفسها». الأمل بضغط أمريكي يُمارس على اسرائيل كان أشبه بقشة تعلق بها الغريق الفلسطيني الذي كان يرى نفسه طوال الفترة الماضية وهو يغوص أكثر فأكثر في بحر اللاءات التي يمطرها به نتنياهو، ليس لفظاً فقط بل وممارسة ميدانية على الأرض.

طبعاً كان واضحاً منذ البداية للكثير أن هذا التفكير ليس انتحارياً فقط، فكم مرة قال الفلسطينيون أنهم لن يعودوا للمفاوضات أو لاجتماعات التنسيق الأمني إلا بعد أن يوقف الاسرائيليون مشاريع الاستيطان، ومصادرة الأراضي، لكنهم سرعان ما كانوا يعودون نزولاً عند رغبة الامريكان، بل وكان هذا التنظير غير واقعي أيضاً لأنه يخلط بين الرغبات الذاتية وبين الوقائع القاسية التي تفرضها الحياة. ومع ذلك ظلت هذه قناعة بعض الفلسطينيين ومعهم بعض العرب أيضاً - جزء من هؤلاء مازال غارقاً في أحلامه وآماله الافتراضية حتى هذه اللحظة - علماً أن الادارة الأمريكية الحالية أظهرت الكثير من المؤشرات والأمثلة التي لا تدع مجالاً للشك انها الإدارة الأكثر تأييداً لاسرائيل في تاريخ الولايات المتحدة، عداك عن المشاكل الداخلية التي تعصف بها وتضعها في وضع لا تملك معه لا المقدرة ولا الإرادة ولا حتى النية للضغط على الدولة العبرية.

لحظة الحقيقة بالنسبة للقيادة الفلسطينية كانت في واشنطن إذن، فأثناء لقائه مع الرئيس كلينتون كرر عرفات ما يقوله عادة للمسؤولين الأمريكيين الذين يلتقيهم بأنه لا يريد سوى تطبيق أوسلو ولا شيء أكثر من ذلك، وأن خطط اعادة الانتشار والنسب التي يطرحها نتنياهو تتعارض مع نص الاتفاق، وليشدد على حقيقة أن اتفاق أوسلو هو وثيقة دولية وقّع عليها كلينتون شخصياً، لذلك فهو لا يطالب الآخرين إلا باحترام توقيعاتهم وتعهداتهم، وضرورة قيام البيت الأبيض بالضغط في هذا الاتجاه. لكن من الواضح أن هذه القدرة على الاقناع لم تمنع كلينتون من أن يكشف عجز الإدارة عن الضغط على نتنياهو أكثر مما قامت به، وكأن الامتناع عن استقبال رئيس الوزراء الاسرائيلي في البيت الأبيض لمدة عام، أو عدم ظهور كلينتون معه في مؤتمر صحفي مشترك أو عدم اقامة مأدبة غداء رسمية على شرفه هي أقصى ما تستطيع واشنطن أن تمارسه من ضغط على نتنياهو.

وكما هو متوقع فالعجز أو عدم الرغبة الأمريكية - لا فرق جوهري هنا - بممارسة الضغط على اسرائيل سرعان ما تحول مباشرة إلى اقتناع للادارة بالطرح الاسرائيلي والقبول به، وليتغير اتجاه الضغوط المفترضة ولتتحول كما هي العادة نحو الفلسطينيين، وهذا ما ظهر أثناء نفس الاجتماع عندما حث كلينتون عرفات على تنفيذ لائحة المطالب التي قدمها نتنياهو ومن ضمنها عقد اجتماع للجنة التنفيذية لتأكيد إلغاء بنود الميثاق الوطني. التبني الأمريكي للأفكار الاسرائيلية والترويج لها ظهرا واضحين تماماً في المبادرة التي طرحتها مادلين أولبرايت أثناء جولتها في المنطقة بهدف إخراج العملية السلمية من مأزقها، حيث تبين أن الخطة التي تحملها ما هي في حقيقة الأمر إلا توليفة باهتة بين خرائط اسحق مردخاي وشارون لاعادة الانتشار. الأدهى من ذلك أن الأمريكيين قالوا صراحة لعرفات بأن يقبل بما يُقدم له لأن «شيء أحسن من لا شيء»، علماً انهم أشاروا بوضوح أن اعادة الانتشار التي يطرحها نتنياهو هي الأخيرة ولن يكون بعدها أية انسحابات أخرى.

صدى هذا الموقف الأمريكي وجدته سلطة الحكم الذاتي في القاهرة حيث سربت بعض الأوساط الفلسطينية قول أحد المسؤولين المصريين البارزين لعرفات حين سأله عن رأي القيادة المصرية بما يجري فأجابه: «الخيار خياركم، إن قبلتم (يقصد بالخطة الأمريكية) انتهيتم».

هل بالغنا حين قلنا أن أوسلو قد لفظ أنفاسه وبدأت رائحته تفوح في المنطقة؟...

هذا الموقف الذي يبعث على التشاؤم ويضع قضيتنا الوطنية أمام مفصل لا يختلف إثنان على مدى خطورته، يطرح بإلحاح وبحدة لا تقبل أي تسويف أو تأجيل سؤال ما العمل فلسطينياً؟... علماً إن اجابة جدية هنا يجب أن تبدأ قبل كل شيء بمراجعة شاملة لما جرى لاستخلاص الدروس والعبر..

لقد اعتدنا في الساحة الفلسطينية على القول أن الوقت من دم، ونتساءل هنا بأسى هل قدرنا أن نظل نكرر هذه الجملة الكئيبة التي يبدو أن بعض القيادات الفلسطينية لم تفهم معناها مطلقاً؟... ■■

الاستيطان في القدس

حدود الكارثة

أحمد جابر

قد تكون تسمية "جغرافية الخوف" هي أفضل التسميات الممكنة التي تحكم مدينة القدس، التي تتنازعها طموحات من كل الأنواع سياسية استراتيجية، وأيديولوجية دينية، وقومية. ولكنها أيضا جغرافية صراع حقيقي قائم يستعد للانفجار في كل لحظة، فهذه المدينة والتي كانت عربية على الدوام، تخضع لعملية قطع قسري عن تاريخها الحقيقي، عبر عمليات التهويد المستمرة لها، ولكنه بالتأكيد وكما اتضح خلال الثلاثين عاما الماضية قطع ليس سهلا على الإطلاق، أشبه بعملية جراحية بدون تخدير، تجرى على سجين متمرد، محكومة بالحصار المستمر، والمواجهة اليومية، والإبعاد، والعبوات الناسفة.

زاد هذا الوضع تعقيدا الموافقة البائسة للجانب الفلسطيني على إرجاء البحث في قضية القدس إلى ما يسمى المفاوضات على الحل الدائم، مما أعطى فرصة ثمينة للحكومات الإسرائيلية لتهويد المدينة بالكامل باعتبارها عاصمة أبدية لدولة إسرائيل.هنا محاولة مختزلة لإلقاء الضوء على المؤامرة.

المعروف للكثيرين ربما أن موضوع الاستيطان في القدس احتل مكانة هامة في الفكر الصهيوني عبر عن نفسه في البيان الختامي للمؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام 1897.

وفي الواقع فان مكانة القدس في الفكر الصهيوني ترجع إلى وقت أطول بكثير مغلفة بغلاف أيدلوجي ديني عبر المزمار الذي ينص "لن أنساك يا أورشليم ولو فقدت يميني"، كما عبرت عن نفسها في كتابات دعاة الصهيونية، حيث نشر عام 1621م كتاب بعنوان "الإحياء العظيم للعالم" لهنري فش يدعو اليهود لاستيطان الأرض المقدسة، ثم نشر الحاخام زمي هيرش كاليشر "البحث عن صهيون" أواخر القرن الثامن عشر، وحث فيه على الاستيطان في فلسطين، وهذا ما فعله موريس هيس في كتابه "روما والقدس" عام 1862.

وكان للدول الغربية دور كبير في مساعدة الحركة الصهيونية على تنفيذ مخططاتها، منذ أن أنشأت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس عام 1939 كان جل اهتمامها منصبا على رعاية وحماية الجالية اليهودية في فلسطين، ونتيجة لهذا الاهتمام أنشأت أول بؤرة استيطانية "من أجل هدف أيدلوجي عام 1850 وهي حي يمين موشيه في منطقة جورة العناب كنواة لأحياء يهودية تقام خارج الأسوار. ومنذ ذلك الوقت ازدادت باطراد عمليات الاستيطان خارج الأسوار وتدعيم الحي اليهودي داخلها، مع ملاحظة أن مساحة الحي اليهودي لم تكن تتجاوز خمسة دونمات وكانت حدود بلدية القدس قد خضعت بموجب المخططات الانتدابية لإمتدادات الأحياء اليهودية.

وليس مفاجئا أن نعلم أنه نتيجة للجهود البريطانية ارتفعت نسبة اليهود في القدس من 8% عند الاحتلال إلى 33% عند رحيل القوات المنتدبة.

وفي عام 1948 تمكنت القوات الصهيونية من احتلال القسم الغربي من المدينة وتم عمليا تقسيم المدينة إلى قسمين شرقي بقي تحت السيطرة الأردنية وغربي تحت الاحتلال الإسرائيلي.

وتم تأكيد هذا الانقسام بموجب اتفاقية الهدنة بين الأردن وإسرائيل في 1949/4/3، وخلال الفترة من 1949 إلى 1967 كانت السلطات الصهيونية قد تمكنت من تهويد كامل القسم الغربي من المدينة، ليتحول إلى كتلة استيطانية ضخمة توسعت بهدوء داخل الخط الأخضر على حساب الأراضي العربية.

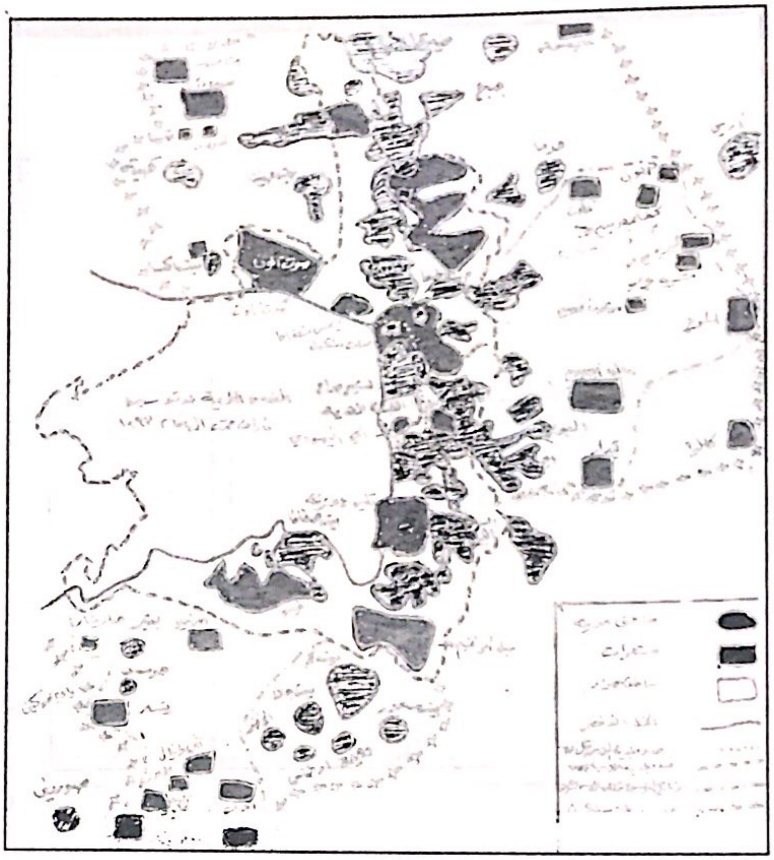
وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الاحتفاظ بالقدس اثر نكبة 1948 يعتبر مخالفة قانونية صريحة لقرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة رقم 1811 بتاريخ 1947/11/29 وقد نص على أن تخضع القدس لنظام دولي خاص تحت سيطرة الأمم المتحدة وهو ما عرف بـ (تدويل القدس)، إلا أن الاحتلال الذي ترافق مع نية إسرائيلية مسبقة بالسيطرة والاحتفاظ بالقدس، والذي ترافق أيضا مع اتفاقية الهدنة مع الأردن والتي كرست الوضع القائم، كل هذا ألغى عمليا قرار التقسيم ومفاعيله.

وخلال عدوان 1967 اجتاحت القوات الإسرائيلية ما تبقى من فلسطين وسيناء والجولان، وطبعا كانت القدس هي أفضل غنائم الحرب تلك بالنسبة لقادة إسرائيل وبذلك خضعت للاحتلال العسكري مثلها مثل باقي الأراضي المحتلة، إلا أن النوايا الإسرائيلية تكشفت بمسارعة الكنيست في 27 يونيو عام 1967 لاتخاذ قرار بضم القدس العربية سياسيا وإداريا وإلحاقها بإسرائيل بموجب الأمر رقم 2964. وقد عبر بن غوريون مبكرا عن هذه النوايا بقوله أن من الممكن أن تعيد إسرائيل كل الأراضي التي احتلتها عام 1967 ماعدا القدس والجولان بشكل قطعي، وعبر هذا الأمر عن نفسه أيضا بالدعوات المتكررة لهدم أسوار القدس لأن بقاءها يوحي بتقسيم المدينة.

قرار الضم لا يلغي حقيقة الوضع القانوني للقدس سواء شاءت إسرائيل أم أبت فالاحتلال كما هو معروف يعني التعليق المؤقت لصلاحيات الطرف صاحب السيادة، لمصلحة الطرف المحتل دون أي مساس بهذه السيادة ضمنيا وديمومتها، وصلاحيات الاحتلال هي محض إدارية مؤقتة خاضعة لقانون الاحتلال الحربي حسب لوائح لاهاي عام 1907، واتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية المدنيين زمن الحرب عام 1949، وهي تشمل عدم تغيير الوضع القائم ديمغرافيا وجغرافيا والمحافظة على الحقوق المدنية للسكان.

إضافة إلى ذلك فالسلوك الإسرائيلي يتعارض مع مبدأ هام من مبادئ الأمم المتحدة وهو عدم جواز الاستيلاء على أراضي الدول الأخرى بالقوة ومنع ضم أي جزء من الأراضي المحتلة إلى الدولة التي احتلتها.

وقد أكد المجتمع الدولي على رفض الإجراءات الإسرائيلية عبر قرار الجمعية العامة رقم 2253 في دورتها الاستثنائية



بتاريخ 1967/4/7 والذي دعا إسرائيل إلى إلغاء ما اتخذته من تدابير بشأن القدس، هذا الطلب تكرر في القرار 1154 في 1967/7/14 أيضا، وكذلك ما أكده مجلس الأمن في قراره رقم 252 بتاريخ 1968/5/21 الذي ندد برفض إسرائيل الامتثال لقرارات الجمعية العامة واعتبر "جميع الإجراءات [...] التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس هي إجراءات باطلة..".

وبناء على ذلك فالقانون الدولي يحدد وضع القدس كمنطقة محتلة لا يجوز إجراء أي تغيير في بنيتها الديمغرافية أو الجغرافية، إضافة لذلك واستنادا إلى قرار 181 فان هذا الوضع ينطبق ليس فقط على الجزء الشرقي من المدينة المحتل عام 1967 بل على كل المدينة بقسميها باعتبار أن حرب 1948 ثم 1967 لم تلغيا قرار التدويل وإنما تمت إعاقة تنفيذه بالقوة المسلحة.

بعد الاحتلال بدأت إسرائيل مباشرة عمليات حثيثة للاستيطان بهدف تحقيق تهويد كامل للمدينة، ورغم أن هذا الهدف لم يتحقق بعد إلا أنه أصبح على مشارف التحقق نتيجة للهجوم الاستيطاني الواسع ضد المدينة المقدسة، فبدءاً من عام 1968 بدأت إسرائيل ببناء الحي اليهودي بعد تدمير حارة الشرف العربية إضافة إلى حي المغاربة وحي السريان، حيث كان يسكنها أكثر من 6000 عربي وهذه المنطقة التي دمرت تماما بعد الاحتلال تشكل 20% من مساحة البلدة القديمة، ثم وضع الأساس لمستوطنة نفي يعقوف عام 1968 ورموت عام 1970 وغيلو عام 1971 وتالبيوت الشرقية عام 1970 ومعلوت دفنا عام 1968 وريخس شعفاط عام 1970 وصولا إلى أكثر من 15 كتلة استيطانية ضخمة عام 1996 عدا عن البؤر الأخرى، هذه الحركة الإستيطانية أدت إلى تحويل الأغلبية العربية إلى أقلية في الفترة ما بين 1967 و 1997، حيث انه ولأول مرة منذ الاحتلال يحقق الإسرائيليون عام 1993 أول انتصار ديمغرافي لهم في القدس الشرقية ليصبح هناك 158 ألف يهودي مقابل 155 ألف عربي، وبعد أن كانت أملاك العرب عام 1918 تشكل 94% وأملاك اليهود 4% فقط أصبحت النسبة عام 1985 84% لليهود و14% للعرب.

وإضافة إلى عمليات الاستيطان المستمرة فالأرقام الكارثية السابقة تعود أيضا إلى السياسة الإسرائيلية التي تهدف إلى طرد العرب من القدس عبر التضييق المستمر عليهم، وعبر إلغاء حق الإقامة لكل من ينتقل إلى الضفة وكذلك عمليات الترحيل السري والمضايقة المستمرة عن طريق رفض منح تراخيص البناء ورفض جمع شمل العائلات، وفي الوقت الذي لا تسمح فيه بالانتقال إلى الضفة فإنها ترفض معاملتهم بمساواة بل كمهاجرين بناء على المفهوم الصهيوني الذي يقول أن القدس موحدة ويهودية وبالتالي العرب فيها ليسوا سكانا أصليين.

والطموحات الإسرائيلية لا تقف عند الحدود الأصلية للقدس بل تتعداها إلى مساحات واسعة من الضفة عبر الإعلان عن مشروع القدس الكبرى مما يعني في شكله الموسع ضم ثلث الضفة إلى القدس وفي أبسط أشكاله ضم أكثر من 15% من الأرض أي في هذه الحالة فان التفاوض سيتم على الـ85% الباقية التي ستحذف منها المستوطنات الكبرى مما سيفرغ أي انسحاب محتمل من كل معنى.

وعلى المدى البعيد تطمح إسرائيل إلى توسيع حدود القدس لتغطي ثلث مساحة الضفة بحيث تشمل خمس مدن عربية هي رام الله والبيرة وبيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا إضافة إلى خمسين قرية عربية حول المدينة، وتتيح لإسرائيل ضم أكثر من 70% من المستوطنين داخل حدودها، وحاليا يجري العمل بسرعة لترسيخ الوجود الاستيطاني في القدس وتفتيت الأحياء العربية وكذلك تعزيز الاستيطان في المستوطنات المزمع ضمها أولا، خصوصا كتلتي عتسيون ومعاليه أدوميم.

والسياسة الإسرائيلية لا تختلف لهذه الجهة سواء كان في الحكم حزب العمل أو الليكود فالمعروف أن القدس كانت مستثناة من قرار تجميد الاستيطان الذي اتخذه رابين عام 1992، ومع عودة الليكود إلى الحكم عام 1996، تسارعت وتيرة الاستيطان وتم إعادة التأكيد على لاءات إسرائيل وأهمها لا لإعادة القدس.

السلوك الفلسطيني المضاد لم يتمكن من الارتقاء إلى مستوى الهجمة الصهيونية، وهو تأسس على الاستمرار في الصمود في المدينة ومحاولة التمدد وتحسين الوضع خارج القانون أغلب الأحيان، ولعل التوجه الرسمي الوحيد كان ما أعلنته السلطة الفلسطينية باعتبار القدس منطقة تطوير من النوع (أ)، والحديث غير الأكيد عن خطة فلسطينية لربط 37 قرية وحي وتجمع سكني ومخيم مع الأحياء العربية في القدس لجعلها وحدة جغرافية وديمغرافية لتكون عاصمة لدولة فلسطين، إضافة لمحاولة الاستمرار في الاحتفاظ وإدارة أكثر من 50 مؤسسة فلسطينية في القدس الشرقية أهمها بيت الشرق المقر الرسمي الرمزي للسيادة الفلسطينية على القدس، وكان هناك تدخلات من نوع آخر عندما تدخلت الأجهزة الأمنية الفلسطينية بقوة لإحباط صفقات بيع أراض وعقارات لليهود مما أثار احتجاجات إسرائيلية واسعة.

المعركة انفجرت بعنف مع إعلان إسرائيل مشروعها لإقامة مستوطنة هارحوما على جبل أبو غنيم على حدود بيت لحم وعلى أراض يملكها فلسطينيون.

وتحتل هذه المستوطنة مكانة خاصة في الإستراتيجية الصهيونية لاستكمال تهويد القدس بهدف إغلاق الحزام الخارجي للأحياء اليهودية، وتشمل الخطة بناء 6500 وحدة سكنية على ثلاث مراحل بهدف إسكان 35 ألف مستوطن، ولكن خططا أكثر طموحا تتحدث عن بناء 18 ألف وحدة لإسكان 150 ألف مستوطن، وستعمل هذه الخطة على قطع الطريق أمام أي

م	اسم المستوطنة	الوحدات السكنية	المستوطنون	خطط التوسع وملاحظات
١	الحي اليهودي	٦٥٠	٢٤٠٠	٢١٢٢ وحدة سكنية مستهدفة
٢	نفي يعقوف	٣٨٠٠	١٩٣٠٠	
٣	رموت	٨٠٠٠	٣٧٢٠٠	٢٠٠وحدة إضافية
٤	غيلو	٧٧٧٤	٣٠٢٠٠	يستهدف ٩٠٠٠ وحدة
٥	تاليبوت الشرقية	٤٤٠٠	١٥٠٠٠	ستشكل مع غيلو الحزام الجنوبي الشرقي للقدس
٦	معلوت دفنا	١١٨٤	٤٧٠٠	من مستوطنات أحزمة القلب
٧	الجامعة العبرية	٢٥٠٠		
٨	ريخس شعفاط		٢١٦٥	تفصل بين قرى بيت حنينا وشعفاط
٩	رمات أشكول	٢٢٠٠	٦٦٠٠	حلقة وصل بين أحياء شطري المدينة
١٠	بسغات زئيف و عومر	١٢٠٠٠	٣٠٠٠٠	يستهدف ١٠٠٠٠٠ مستوطن وتشكل الحزام الثاني
١١	عطروت			المنطقة الصناعية
١٢	بيتار	١١٥٠	٥٠٠٠	الوصول الى ٨٠٠٠ وحدة وهي جزء من كتلة عتسيون المستهدفة بالضم
١٣	افرات	٣٥٠		
١٤	معاليه أدوميم	أكثر من ٢٠٠٠	٢٠٠٠٠	يستهدف ١٠٣٦ وحدة جديدة الى ١٠٠٠٠٠ مستوطن تمهيدا لضمها
١٥	جفعات زئيف		٧٥٠٠	يستهدف الوصول الى ٢٠٠٠٠ مستوطن
١٦	هار غيلو	٦١		هامة باعتبارها نقطة وصل
١٧	هدار بيتار	١٠ كرفانات	الحارس فقط	هامة باعتبارها نقطة وصل
١٨	روش تسوريم	٤٤		جزء من كتلة عتسيون
١٩	آلون شفوت	١٢١		—

جدول يبين أهم الكتل الاستيطانية في القدس وخطط توسعها

امتداد عربي لسد الفجوة بين بيت لحم وصور باهر وتحقيق اتصال للكتل الاستيطانية من هار حوما إلى غيلو ثم هار غيلو للاتصال بكتلة عتسيون المزمع ضمها للقدس الكبرى.

السنة	العدد بالآلاف	ملاحـــــظـات
١٢٦٧	عائلتين	
١٨٩٧	٢٨١٢٢	نقلة بسبب التسامح العثماني والضغوط الأوربية
١٩٣١	٥١٢٠٠	انطلاق موجات الهجرة
١٩٤٧	٩٩٤٠٠	
١٩٦٧	١٩٧٧٠٠	٧٧،٢٪ من عدد السكان
١٩٧٠	٢١٥٥٠٠	٧٣،٩٪
١٩٧٥	٢٥٩٤٠٠	٧٣٪
١٩٨٧	٣٤٦١٠٠	٧١،٧٪
١٩٩٠	٣٧٨٢٠٠	٧٢،١٪
١٩٩٣	٤٠٦٨٠٠	٧١،١٪
١٩٩٥	٥١٣٧٠٠	٧٠،٩٪

جدول زمني انتقائي يبين تزايد عدد اليهود في القدس بشقيها

هذه الهجمة الأخيرة ستكمل عبر خطة أخرى في رأس العمود تهدف لبناء 132 وحدة سكنية في قلب الحي العربي مما يقطع المر البري بين أريحا والحرم القدسي، وسيتم وصلها لاحقا بمعاليه أدوميم عبر الخطة 1 ـ E لإقامة ممر استيطاني يمهد لضم معاليه أدوميم إلى القدس الموسعة.

ذلك كان استعراض سريع للانشطة الاستيطانية في القدس، وهي وقائع جديرة برد فعل أقل ما يكون إدراك حجم الكارثة القادمة التي تحيق بالمدينة وتهدد بضياعها إلى الأبد، والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة : ما العمل؟

على الفلسطينيين أولا امتلاك خطة شاملة للمواجهة، عدم وجودها حتى الآن يشكل مأساة تضاف إلى مأساة تأجيل مناقشة قضية القدس حتى إشعار آخر.

ويمكن البدء بشن حملة واسعة عربيا ودوليا وإسلاميا لدعم صمود الفلسطينيين في القدس ومساعدتهم على البقاء وإثارة القضية القانونية المتعلقة بوضع القدس كمدينة محتلة وإبقائها تحت الضوء.

وهذه المهمة، مهمة الدفاع عن القدس والعمل على إنقاذها ليست مهمة فلسطينية فقط بل عربية وإسلامية ودولية أيضا باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من حقوق الأمة العربية ومكانتها المقدسة للمسلمين وهي إلى ذلك جزء من التراث الإنساني يجب المحافظة عيه وحمايته.

والى أن يحين الوقت سيبقى الصراع على القدس صراع عض على الأصابع وصراع إرادات في الأساس، فمن سينتصر في النهاية؟ نطرح السؤال واليد على القلب.

المراجع:

1– الدراسات الفلسطينية–ملف تهويد القدس– صيف 1997 العدد31.

2– خالد عايد – القدس الكبرى في اسار الأمر الواقع الصهيوني – الدراسات الفلسطينية صيف 1993 العدد 15.

3– الدراسات الفلسطينية – ملف الإستيطان المستمر في القدس الصغرى والكبرى –صيف 1994 العدد19.

4– الشرق الأوسط العدد 7017 –1998/2/13.

5– الدستور 1997/3/24.

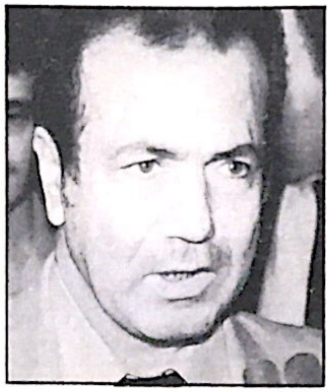
6– وثائق فلسطينية – دائرة الثقافة – م.ت.ف.

7– الإعتداءات الصهيونية على الحقوق العربية في القدس – الدكتور حسن سيد سليمان–جامعة صنعاء – أكتوبر 1996.

خليل التفكجي – آخر الإحصائيات للفاعليات الإستيطانية – 1997/12 – تقرير خاص.

الدكتور جورج حبش يستقبل الأخ فاروق القدومي





استقبل الدكتور جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في دمشق، وبحضور الرفيق أبو علي مصطفى نائب الأمين العام، وأبو أحمد فؤاد، والدكتور ماهر الطاهر، وأبو علي حسن أعضاء المكتب السياسي. الأخ فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية والوفد المرافق له.

وقد دار خلال اللقاء البحث حول تطورات الأوضاع في الساحة الفلسطينية والعربية، حيث أكد الطرفان على ضرورة تفعيل وإحياء مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية على أساس برنامجها الوطني وضرورة إجراء مراجعة سياسية شاملة لمسيرة المفاوضات مع اسرائيل. كما أكد الطرفان إدانة الإستعدادات الأمريكية والبريطانية لشن عدوان عسكري جديد على العراق بهدف تمزيقه أرضاً وشعباً وسيادة. وطالب الطرفان جميع الدول العربية باتخاذ موقف حازم لمنع العدوان على الشعب العراقي.

المكتب الصحفي

دمشق ١٩٩٨/٢/١١

تصريح صحفي

أدان الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التهديدات والإستعدادات العسكرية الأمريكية لشن عدوان جديد على العراق تحت حجج ومبررات واهية باتت مكشوفة للجميع. وقال الناطق: إن إدارة الرئيس كلينتون تريد أن تجعل من دماء الشعب العراقي وسيلة لتغطية فضائحها وأزماتها الداخلية المتفاقمة لتوجيه الأنظار نحو قضايا خارجية تشغل الرأي العام الأمريكي.

وقال الناطق: في الوقت الذي تدعم فيه الولايات المتحدة بمختلف الأشكال سياسة التوسع والعدوان التي تمارسها اسرائيل، فإنها تستعرض عضلات القوة والإرهاب ضد الشعب العراقي والأمة العربية.

ودعا الناطق الدول العربية إلى اتخاذ موقف حازم وموحد لمنع وقوع عدوان جديد والتصدي لسياسة القوة والتهديد بالحرب. كما دعا القوى الشعبية العربية لتحرك فاعل وعلى جميع المستويات للتضامن مع شعب العراق.

المكتب الصحفي

دمشق ١٩٩٨/١/٢٧

ويبرق معزياً بوفاة نائب الرئيس السوداني الفريق الزبير محمد صالح

الأخ الفريق / عمر البشير المحترم

رئيس الجمهورية السودانية

تحية طيبة وبعد،

تلقينا بمزيد من الحزن والأسى نبأ وفاة الأخ الفريق الزبير محمد صالح نائب رئيس الجمهورية السودانية الشقيقة في حادث الطائرة المشؤوم.

باسمي وباسم اللجنة المركزية العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أتقدم إليكم بأحر التعازي القلبية، راجياً من الله أن يلهمكم وعوائل الشهداء الصبر والسلوان، وأن يتغمد الجميع فسيح جناته.

أخوكم

د. جورج حبش

ويبرق للرئيس الكوري كيم جونغ ايل

الرفيق المناضل / كيم جونغ ايل المحترم

رئيس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

تحية رفاقية وبعد،

من قلوبنا نهنئكم بذكرى ميلادكم السادس والخمسين، متمنياً لكم طول العمر وللشعب الكوري الصديق دوام التقدم والازدهار.

إن كوريا الديمقراطية الشعبية بلدٌ صديقٌ وقفت دائماً وابداً إلى جانب النضال العادل لشعبنا، فهي محل احترام كبير من قبل شعبنا الفلسطيني.إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نكن لكوريا الديمقراطية وقيادتها كل احترام وتقدير، ونأمل العمل سوياً لتطوير العلاقات الرفاقية بين الشعبين الكوري والفلسطيني، والحزبين حزب العمل الكوري والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ومرة أخرى أقدم أحر التهاني بالذكرى السادسة والخمسين لميلادكم.

رفيقكم

د. جورج حبش

الرفيق صلاح صلاح يزور إيطاليا

قام الرفيق صلاح صلاح عضو المجلس الوطني الفلسطيني رئيس جمعية الصداقة الفلسطينية الكوبية بزيارة لإيطاليا من تاريخ ١٩٩٨/١/١٩ إلى ١٩٩٨/١/٢٨ وتم خلال هذه الزيارة عدة مقابلات صحفية مع راديو الشعب وراديو موجة الصدام تحدثت بجملتها عن الوضع الراهن لعملية السلام وعن سياسات إسرائيل العدوانية ضد شعبنا، وركز الرفيق في مقابلاته عن أوضاع المخيمات في لبنان.

كذلك عقد ندوة شارك فيها 14 جمعية في مدينة ميلانو وندوة في جامعة ميلانو بحضور الطلبة حيث استعرض الرفيق الأوضاع الصعبة التي تعاني منها القضية الفلسطينية وظروف شعبنا في أماكن تواجده وبالذات في المخيمات، وقام الرفيق بشرح تفصيلي لاتفاقات أوسلو ومساوئها وحتمية فشلها، وذلك لعدم إعطاءها الحد الأدنى لحقوق شعبنا، وتتعامل معه كأقلية في دولة إسرائيل.

كذلك قام الرفيق بلقاء مع رئيس جمعية الصداقة العربية الإيطالية . ميلانو – إيطاليا.

 رداً على مقال السيد حازم صاغية حول عراق ما بعد صدام؟

نعم وحدة العراق مقدسة

د. ماهر الطاهر

في مقال مقتضب، نشرته صحيفة «الحياة» على صفحتها السابعة عشرة، يوم الخميس، الخامس من شباط ١٩٩٨ ويحمل عنوان «عراق ما بعد صدام» يدعو الكاتب من وصفهم بالقوى المعنية إلى عدم التردد في مناقشة ودراسة خيار تقسيم العراق كأحد الخيارات المحتملة لعراق ما بعد صدام حسين.

يقول في بداية مقالته «لامعنى لضربة أمريكية تستهدف العراق إن لم تؤد إلى إسقاط النظام، أو إنضاج عملية سقوطه». وبعد أن يتحدث عن عجز الأكراد أو الشيعة وفشل المعارضة العراقية في بناء تجربة وطنية تتعدى الأديان والمذاهب والمناطق. يقول: إن سقوط صدام أو الإقتراب من سقوطه لن يكون نهاية لمأساة العراق، بل سيفتح طوراً جديداً من هذه المأساة. وبأننا سنكون وعاظاً وسذجاً حين نطالب المعارضة العراقية بأن تتحول بين ليلة وضحاها إلى ما يخالف طبيعتها. فهي لن تستطيع توحيد ذاتها ولن تستطيع إسقاط النظام وإرساء وحدة عراقية ديمقراطية.

ويختتم مقالته بالقول: «إن ما يمكن طلبه هو رفض المقدسات في السياسة بحيث لايقود سقوط النظام إلى حرب أخرى عنوانها تجديد الوحدة العراقية... لمجرد أن الوحدة مقدس لايجوز مسه. إن حقن الدماء أهم من الوحدة، ولهذا يجدر بالقوى المعنية في ظل العجز الحالي عن استعادة البلد واحدة، عدم التردد في مناقشة الخيارات جميعاً بما فيها خيار الطلاق المتحضر».

إذا كان المقصود بما جاء في جوهر هذا المقال، هو الدعوة لمناقشة ودراسة خيار «الطلاق المتحضر» بين أبناء الشعب العراقي، أي بلغة أوضح تقسيم العراق إلى دول ثلاث: كردية، شيعية، سنية، فإنني أجد من المستغرب أن يتناول السيد حازم صاغية مسألة وحدة العراق بهذه البساطة وبهذه الطريقة سواءً من الناحية المبدئية اولاً أو ارتباطاً بالأوضاع والمخاطر الكبرى المحيطة بالعرب في هذه الظروف الدولية والإقليمية ثانياً.

أظن أنه لايغيب عن الكاتب أن أحد أبرز أهداف الإستراتيجية الإسرائيلية في العالم العربي العمل على تقسيم المنطقة إلى دويلات صغيرة وذلك بعد محاولة تفكيك الدول العربية وتقويض وحدة ترابها الوطني. وهذه النظرية التي تحكم الإستراتيجية الصهيونية بشكل دائم تقضي باعتبار اسرائيل نفسها قاعدة للأقليات.

ألا يعتقد الكاتب أن تقسيم العراق يحمل مضاعفات خطيرة للغاية تمس الشعب العراقي أولاً والبلدان العربية ثانياً، وعموم بلدان المحيط الإقليمي ثالثاً؟ ويخلق بؤرة متفجرة لصراع دام ومفتوح له امتداداته الإقليمية والدولية سيؤدي للمزيد من العبث الأميركي والإسرائيلي بشؤون هذه المنطقة الحساسة من العالم؟

وهل يتصور السيد حازم صاغية أن الطلاق المتحضر الذي يدعو إليه في العراق ستقتصر نتائجه وأثاره على تدمير العراق وحده، أم أنه سيمتد ليشمل العديد من البلدان العربية ودول الجوار.

إن السودان على سبيل المثال يواجه مشاكل داخلية حادة، ويواجه معارضة سياسية ويواجه مشكلة الجنوب منذ سنوات طويلة. فهل سيكون الحل الأمثل لمشكلاته هو الطلاق المتحضر تجنباً لإراقة الدماء ورفض المقدسات في السياسة؟

من قال أن الشعب العراقي بعربه وأكراده ومذاهبه يريد الطلاق بالمعروف أو بالإكراه؟

نظن أن شعب العراق يرفض من حيث المبدأ تقسيم بلاده وتفتيت وحدة ترابه الوطني. ويدرك عملياً بجميع فئاته أنه سيكون لقمة سائغة للمزيد من المخططات المعادية التي لاتستهدف الخير لأكراد العراق



ولا للشيعة أو السنة فيه، بل تستهدف فقط تحقيق الأغراض والمطامع الإستعمارية والصهيونية في المنطقة.

إن المطلوب اليوم ليس الدعوة إلى رفض المقدسات في السياسة، فجميع الشعوب والأمم لها مقدساتها وثوابتها ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. بل المطلوب الدعوة والعمل على فك الحصار الجائر والظالم المفروض على شعب العراق منذ أكثر من سبع سنوات تحت حجج ومبررات باتت مكشوفة للجميع. فعلى الرغم من اتساع دائرة القوى العربية والدولية المطالبة بفك الحصار وإيقاف سياسة التجويع والتركيع، فإن الإدارة الأميركية لازالت تواصل ذات السياسة الهادفة إلى تفتيت هذا البلد العربي. لابل وتعمل على تصعيد المواجهة وإعداد العدة لضربات عسكرية جديدة بدأ العالم يدرك أن هدفها ليس البحث عن أسلحة عراقية وتطبيق برنامج لجنة التفتيش التابعة للأمم المتحدة، بل هدفها تدمير إمكانات وطاقات الشعب العراقي المادية والمعنوية لكي لاتقوم له قائمة لعشرات السنين، وإبقاء الأوضاع متوترة في الخليج، وزرع الخوف لدى دوله لتبرير استمرار وتكثيف التواجد العسكري الأمريكي المباشر هناك واستنزاف أمواله وثرواته بهدف إضعاف العرب جميعاً وتبديد إمكاناتهم.

ما الذي يفسر رفض واشنطن لإقتراح وزير الدفاع الروسي تقديم طائرات روسية بديلة لطائرات يو ٢ الأميركية للقيام بطلعات جوية فوق أراضي العراق بدل الطائرات الأميركية؟ فإذا كان هدف الولايات المتحدة الأميركية تطبيق قرارات مجلس الأمن فهل تطبيق هذه القرارات لايتم إلاّ بواسطة الأجهزة الأميركية بالذات؟ لقد بات واضحاً أن الإدارة الأميركية لاتستهدف سوى تحقيق برنامجها واستراتيجيتها الخاصة في الهيمنة على الوطن العربي ومحاولات إخضاعه.

لماذا فرض واستمرار الحصار على ليبيا والسودان منذ سنوات عديدة؟ وهل دخلت القوات الليبية أو السودانية أراضي دول مجاورة؟

لماذا دعم وتعميق التحالف العسكري التركي - الإسرائيلي وإجراء مناورات حربية مشتركة شرق المتوسط؟ أليس هدفها الضغط على سوريا وإيران لمواجهة كل من يعارض السياسة الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة؟

إن الحلف الدولي الذي وقف ضد العراق بعد دخوله أراضي الكويت يتخذ اليوم موقفاً جديداً ومغايراً للموقف السابق على ضوء الوضع الجديد. فالموقف العربي والروسي والصيني والفرنسي وموقف الغالبية الساحقة لدول العالم يرفض بوضوح اللجوء للخيار العسكري ويدعو لحل سياسي لأنه يدرك جيداً حقيقة دوافع وأهداف الحلف الجديد الأمريكي - البريطاني - الإسرائيلي الذي يستهدف تحقيق أغراض ومطامع خاصة في مقدمتها تفتيت وإضعاف العرب كافة.

ولذلك فإن الدعوة لتقسيم العراق وهو المشروع الذي سبق طرحه من أوساط معروفة دعت لإقامة فيدرالية ثلاثية في العراق تم التصدي له من الدول العربية الأساسية التي تحرص على وحدة هذا البلد العربي ومستقبله.

إن الحفاظ على وحدة العراق أرضاً وشعباً مقدس لايجوز مسه لأن حياة العراقيين ومصالحهم وحقن دمائهم تكمن في وحدة تراب وطنهم ووحدة مصيرهم.

وأخيراً، فإن عملية تغيير الأنظمة السياسية في بلدان العالم ليست مسؤولية الولايات المتحدة الأمريكية، بل هي مسؤولية شعوب هذه البلدان. وإلاّ سيتحول العالم إلى كوكب تسوده الفوضى الشاملة ■■

الأزمة العراقية:

هل روسيا تتجاوز حدود الكلام؟

ناصر أبو العلا

كافة التحذيرات، والمواقف التي أطلقها المسؤولون الروس، حول رفضهم قيام الولايات المتحدة بتوجيه ضربة عسكرية إلى بغداد، لم تزحزح الأمريكان عن مواقفهم قيد أنملة، بل على العكس أثارت في أوساطهم السخرية حيث سارع بعض المسؤولين بكل صلف وعنجهية «رعاة البقر» لتذكير موسكو الحالية، بأنها ليست موسكو الاتحاد السوفياتي السابق، وليست موسكو ايام الحرب الباردة، فالمعادلة تغيّرت، ومعطيات الزمن الحاضر اختلفت، وعليه فـ «نييت (لا بالروسية)...لا تعني لا الانكليزية بالنسبة للولايات المتحدة» قالها كلينتون بالفم الملآن، وبوضوحٍ لا يترك مجالاً للشك، أو التأويل وكأنه أراد أن يوجّه عبر ردّه هذا على تحذير الرئيس الروسي «بوريس يلتسين» بحرب عالمية ثالثة رسالةً إلى العالم أجمع، وليس لموسكو فقط مفادها: أن الولايات المتحدة باتت هي القطب الأوحد المسيطر في العالم فعلاً وقولاً، وأن مقولة تعدد الأقطاب، أو ثنائية القطب مقولة أكل الزمن عليها وشرب.

بمعنى آخر، وجدت الولايات المتحدة في الأزمة الحالية مع العراق فرصة مناسبة لإفهام العالم، والدول العظمى تحديداً (روسيا، الصين، فرنسا) بأن ما يسمى مصالحها الحيوية في منطقة الشرق الأوسط، وسيطرتها على منابع النفط، التي هي مفتاح سيطرتها على العالم مسألة غير قابلة للنقاش وهذه المسألة، هي على الأغلب، ما يفسّر حالة التجاذب وتباين المواقف وخلفياتها، والتي تعكس تضارب مصالح الدول الكبرى في هذه المنطقة رغم أن هذا التضارب لم يصل بعد إلى مرحلة التناقض الواضح والصريح.

إن الرئيس الأمريكي كلينتون، سبق وأن كرّر مراراً مواقف بلاده ضد العراق، وهدّد بالحرب في سياق سيناريو محبوك جيداً، ولعله ليس من قبيل المصادفة أن يعلن تهديداته تلك في الوقت الذي كان يعلن فيه رسمياً عن انضمام دول أوروبا الشرقية (بولندا، تشيكيا، والمجر) إلى حلف شمال الأطلسي. إن المغزى هنا واضح تماماً، فمع تراجع النفوذ الروسي، وتمدد النفوذ الأمريكي، تغيرت موازين القوى في العالم على حساب روسيا، ومن شأن ذلك فرض استحقاقات جديدة تحدد على ضوئها «خطوط حمر سياسية» جديدة، وما على الروس أو غيرهم (فرنسا في الغرب) إلا أن يستوعبوا، ويقبلوا هذه المعادلات الجديدة.

إن لسان حال الإدارة الأمريكية في هذا السياق يريد القول: المسألة ليست فقط انهيار المعسكر الاشتراكي، وسقوط حلف وارسو، وغياب الاتحاد السوفياتي، بل إن روسيا نفسها معرضة لاحتمال تفجّر أوضاعها من الداخل، ومهددة بانفصالات محتملة في ظل عشرات الأزمات التي تعاني منها، وهي بالتالي غير مهيأة لأن تلعب دوراً فاعلاً على صعيد السياسة الدولية من شأنه أن يواجه القرار الأمريكي.

إن الولايات المتحدة، وضمن سياق أهدافها الاستراتيجية الخفية مهدت لزيارة وزير دفاعها وليام كوهين إلى موسكو بشن حملة اعلامية مسبقة على موسكو، كشفت خلالها عن صفقة روسية ـ عراقية تتناول مواد قابلة لـ«استخدام مزدوج»، واستصرحت رالف ايكوس سلف ريتشارد باتلر، الذي ألح «إلى أن يفغيني بريماكوف هو بمعنى ما، مجرد ناطق باسم الحكومة... العراقية».

إن واشنطن أرادت أن تحاصر الموقف الروسي، وتشل فاعليته بشكلٍ مسبق، مما جعلها تضع موسكو في قفص الاتهام، متهمةً إياها بالبحث عن مصالحها المادية الضيقة المرتبطة بعلاقتها مع العراق وهي بذلك تقلب الحقائق لتظهر نفسها أمام الرأي العام العالمي وكأنها المدافعة الوحيدة عن قرارات «الشرعية الدولية»، حيث تتسم مواقفها بالنزاهة، والترفّع عن المصالح... إن الولايات المتحدة في حقيقةِ الأمر لا تبحث عن الهيمنة الاستراتيجية الكاملة على العراق فحسب، بل تريد الهيمنة الكلية على المنطقة العربية بنفطها وثرواتها، واقتصادياتها وشعوبها وأنظمتها، ولا تريد، بل ولا تحتمل أن يقاسمها أحدٌ النفوذ في هذه المنطقة.

إن الولايات المتحدة، لا تريد أن تسمع ـ



بعد اليوم ـ كلمة لا في هذه المنطقة، وهذا ما يفسر هذا التشدد الذي طبع تحركها الأخير. إنها تريد تحقيق أهدافها المعلنة والخفية عبر إخضاع كامل المنطقة لشروطها وإرادتها. وإذا لم يتم لها ذلك بالأساليب الدبلوماسية، فالأسلوب العسكري جاهز، وعلى الجميع أن يفهموا ذلك ويذعنوا له.

لقد استمع وزير الدفاع الأمريكي وليام كوهين في موسكو إلى نظيره الروسي ايغور سيرغييف (في هذه المناخات)، وببرود كامل، وقد أبدى الوزير الروسي قلق بلاده «من تأثير أي عملية عسكرية ضد العراق على العلاقات الثنائية بين البلدين، معتبراً أن الانفراد الأمريكي يهدد مصالح روسيا الحيوية»، فردّ عليه الوزير الأمريكي بأسلوب الصَلَف الأمريكي المعروف ملمّحاً إلى المناخ الذي يحيط بروسيا «التي تسامحت مع ما يحصل على الجبهة الغربية، مما يفرغ أي تهديد من مضمونه» وذلك في إشارة إلى الاذعان الروسي حول دخول دول أوروبا الشرقية في حلف شمال الأطلسي.

لعل ما يلفت الانتباه فعلاً في الموقف الأمريكي الحالي، الذي يجري الترويج الاعلامي له بالاعتماد على نقطة واحدة وحيدة وهي «ضرورة انصياع العراق الكامل وغير المشروط لقرارات الأمم المتحدة (التي تعني عملياً القرارات الأمريكية) والسماح للمفتشين الدوليين بتفتيش القصور الرئاسية دون أي قيد أو شرط....» اللافت أنها لا تحاول ـ كما فعلت في العام ١٩٩١ ـ حشد التأييد العربي والاقليمي والدولي لتحركها، وانما تعمل على فرض موقفها فرضاً على الجميع، وتطالب الجميع بتأييد هذا الموقف وتبنّيه، ورغم أن وزيرة الخارجية الأمريكية أولبرايت قامت بجولة في المنطقة سمعت خلالها كلاماً رافضاً أو متحفظاً حيال توجيه ضربة عسكرية للعراق، حتى في العواصم العربية الأكثر قرباً من واشنطن.

إلا أنها لم تقف عند هذا الأمر كثيراً، بل بالأحرى لم توله أية أهمية، بدليل أن جولة وزير الدفاع التي تلت جولة أولبرايت جاءت لترتيب المسائل الاجرائية على الأرض تمهيداً للضربة العسكرية المزمع توجيهها إلى العراق.

كذلك لا تجد الولايات المتحدة حاجةً لاستصدار قرار جديد من مجلس الأمن ليشكل غطاء لأي ضربة عسكرية محتملة للعراق، ذريعتها في ذلك أنها تعتمد على قرارات سابقة، وحتى الآن ليس من الواضح فيما إذا كانت روسيا ستستخدم حق النقض «الفيتو» لتسحب الغطاء الدولي عن التحركات الأمريكية، أم أنها ستكتفي بتسجيل معارضتها توجيه ضربة عسكرية ضد العراق دون أن تفعل شيئاً على الأرض وفي الوقت الذي لا يستبعد فيه بعض المسؤولين الروس، مثل هذا الموقف فإن الولايات المتحدة تصر على إذعان العراق الكامل دون قيد أو شرط وقبوله فتح القصور الرئاسية أمام المفتشين الدوليين.

طبعاً لا يمكن التقليل من أهمية التفاعل الداخلي في روسيا نتيجة تطورات الأزمة العراقية، الذي عبر عن نفسه بتعزز دور التيار القومي المتشدد الذي راح يجمع التواقيع داخل مجلس النواب الروسي، لإدانة الموقف الأمريكي، ووصول الزعيم القومي المتشدد فلاديمير جيرينوفسكي إلى بغداد على رأس طائرة محملة بالأدوية والمعونات، كذلك ليس بإمكان الموقف الروسي الرسمي أن يتجاهل تأثير «الخطاب الشيوعي» الذي يمنح التحالف القومي الواسع مضمونه التعبوي الاجتماعي الداخلي، وكذلك كان لافتاً الاهتمام الذي أبداه مؤخراً غينادي زيوغانوف بأوضاع الجيش الروسي البائسة. إن محصلة هذه المواقف وتفاعلاتها تعبّر عن قلق الشارع الروسي الذي يجد في التحرك الأمريكي ضد العراق والمنطقة إقصاءً لروسيا وإضعافاً لدورها كدولة كبرى، أو على الأقل كـ«قوة اقليمية كبرى»».

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل ستأخذ الولايات المتحدة بالحسبان هذا الوضع الروسي الذي يؤشر لاحتمال تنامي العداء الروسي ـ الأمريكي؟!

من الواضح حتى الآن أن الولايات المتحدة ليست في وارد إدخال الوضع الروسي في حساباتها، لأنه بوضعه الحالي لا يستطيع أن يرتقي أكثر من مستوى الاحتجاج الكلامي، لكن هذا لا يعني أن الأمر لا يهم الولايات المتحدة التي بدأت تدرس امكانية اعادة النظر في «عقيدتها الدفاعية»، والمتتبع للنقاشات الاستراتيجية في الولايات المتحدة، يلمس هذا الاهتمام■■

الهجوم الأميركي على العراق

للحقيقة وجه آخر

حسن العاصي

لانكاد نجد تفسيراً بريئاً لذلك الجهد الأميركي ـ الغربي المتواصل، الذي يصر على قلع أظافر العرب ونزع أسنانهم، وإبقائهم إلى الأبد، عند مرحلة الكفاف العسكري.

مرة أخرى، تشهد المنطقة العربية تحركات ساخنة متسارعة، تعيدها إلى أجواء الحرب، حيث أصبحت هذه المنطقة برمتها أشبه بالقدر الذي يغلي على النار.

فالأزمة المتجددة بين الولايات المتحدة والعراق، دفعت بأميركا وبريطانيا، إلى حشد المزيد من الأساطيل الحربية التي إزدحمت بها المنطقة لتوجيه ضربة عسكرية ضد الأهداف الحيوية العراقية، بعد مسلسل الإتهامات، والإتهامات المتبادلة حول أزمة مفتشي الأسلحةالتابعين للأمم المتحدة، وحقهم في دخول أية مواقع يشاءونها بحرية دون عوائق، بما في ذلك المواقع الرئاسية، والتي باتت قصتها معروفة لكل متتبع.

هدف الضربة المعلن، كما جاء على لسان «صموئيل بيرغر» مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي، هو «إنهاء قدرات العراق على إعادة بناء أسلحة الدمار الشامل، والصواريخ القادرة على نقلها ومنعه من تهديد جيرانه».

بينما هدفها الحقيقي هو تعزيز هيمنة الولايات المتحدة على هذه المنطقة، وإمعانها في إذلال النظام العراقي، وتدمير إمكانيات الشعب العراقي وطاقاته المادية والمعنوية.

وسواء تمت الضربة العسكرية كما يريد البيت الأبيض، أو لم تتم، فإن الموقف الأميركي يتميز بانتهاكات وقحة تتجاوز العراق إلى كل العرب والمسلمين هذا الموقف الذي عبر عن نفسه برفض أي عرض يقدمه العراق، ما دام لايعني انصياعاً تاماً للمطالب الأميركية، وبالتالي إذلالاً كاملاً للعراق، ولايمكن أن نستنتج من هذا الرفض سوى أن الضربة العسكرية آتية.

إن الولايات المتحدة الأميركية تنظر إلى المنطقة العربية عموماً، ومنطقة الخليج خصوصاً على أنها من المناطق ذات الأهمية البالغة بالنسبة للمصالح الحيوية الأميركية، لأجل السيطرة على مصادر الطاقة وتدعيم مصالحها في العالم، وهي لتحقيق ذلك لاتتوانى عن استخدام إرهاب القوة لغرض الهيمنة والتبعية والإنحياز الكامل لحلفائها.

هذا الأسلوب خبرته بلدان أميركا الجنوبية، التي تخضع منذ عقود طويلة لأشكال مختلفة من الهيمنة الأميركية، مماثل لما تزمع أميركا فرضه على المنطقة العربية. فعلى الرغم من أن هذه البلدان تمتلك ثروات معدنية وإمكانيات زراعية ضخمة، وبينها دول منتجة للنفط، إلا أنها انتهت إلى بلدان تعيش على حافة الجوع في معظمها وتتجاوز أقساط ديونها معدل الدخل القومي لمجملها. وهو ذات الأسلوب الذي تعمل الولايات المتحدة على تكريسه في المنطقة بوسائل دموية، لفرض الهيمنة بواسطة الخوف.

فالبلدان العربية، والتي لم تقدم على أية خطوات إجرائية لتدعيم مصالحها القومية والقطرية، أثناء وبعد التغيرات التي طرأت على الساحة الدولية وأحدثت خللاً في التوازن العالمي، وجدت نفسها فجأة أمام واقع جديد أهم سماته تكريس تبعيتها بشكل متزايد للولايات المتحدة، وتلاشي مبدأ التوازن الإستراتيجي بين العرب وإسرائيل ومن ثم الشروع في مسيرة مدريد التي تعني أصلاً قبول العرب بشكل نهائي بإسرائيل كما هي، في ظل اختلال حاد في موازين القوى، تمثل في وجود رعاية أميركية وحيدة للمفاوضات، ونستطيع أن نضيف إلى مظاهر الضعف العربية، ما ظهر مؤخراً من بروز للدور التركي العدواني في المنطقة.

ووجدت الولايات المتحدة أنها تمتلك القدرة على فرض هيمنتها، وذلك بصورة لم تعد معها بحاجة إلى مراعاة أي قيم أو أخلاقيات، وهذا ما عبرت عنه بوضوح وزيرة الخارجية الأميركية حين قالت بثقة «أن واشنطن تمتلك الإرادة والسلطة والوسائل لتوجيه ضربة عسكرية للعراق، لافي شكل وخز إبر، وإنما ضرب متواصل قوي ومؤثر».

والسبب الذي يدفع أميركا ـ برأينا ـ إلى أن تنزع للطرق الوحشية تجاه المنطقة، لايكمن في غياب الرادع الدولي فقط، وإنما أيضاً بالتحدي الذي تواجهه مكانة أميركا في السوق الدولية، فما لم تضمن السيطرة على ثروات هذه المنطقة، وبالتالي استغلال طاقاتها الإستهلاكية الهائلة، فإن شيئاً لن يحول، دون تراجع تلك المكانة تدريجياً، إلى مستوى لاتقوى على منافسة القدرات الأوربية المتنامية، والتحدي التكنولوجي لليابان. فالمطلوب أن تبقى الدول العربية دولاً لإنتاج الموز أو النفط لافرق. في وقت تنحاز فيه الولايات المتحدة لحليفتها اسرائيل التي تمتلك المئات من الرؤوس النووية، وتتلقى سنوياً حوالي خمسة مليارات من الدولارات كمساعدات اقتصادية ومعونات عسكرية.

في هذا السياق يمكن وضع التهديدات الأميركية الأخيرة لضرب العراق، إلا أن الولايات المتحدة تتجاهل كونها لاتستطيع ـ مهما اجتهدت ـ استحضار أجواء عام ١٩٩٠ لتبرير منطق الحرب وباتت معظم الدول العربية مقتنعة بأن لامصلحة عربية في اية سياسة أميركية، وهذا ما حصدته وزيرة الخارجية الأميركية في ختام جولتها الأخيرة في المنطقة، إذ أن غالبية الدول العربية لاتؤيد الضربة العسكرية للعراق، لأن الضحية الرئيسية لهذا الهجوم، سيكون الشعب العراقي نفسه ولأن هذا الموقف لاعلاقة له بأمن الدول العربية ذاتها، التي تخشى الترسانةالنووية الإسرائيلية، وتستنكر

المواقف الإسرائيلية التي تمارس عمليات قضم ومزيد من الإستيلاء على الأراضي الفلسطينية.

أبرز هذه المواقف عبرت عنها دمشق، التي زارها وزير الخارجية العراقي، وعلى لسان وزير خارجيتها السيد «فاروق الشرع» الذي اعلن أن سوريا تتمسك بالحل الديبلوماسي للأزمة، وترفض التصعيد والحل العسكري، وأكد الشرع على موقف سورية المبدئي في الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية وسلامتها، وأنها تعارض أي عمل عسكري يستهدف العراق، واستغرب الشرع عدم صدور اي احتجاج أميركي أو بريطاني ضد الممارسات الإسرائيلية، وخرقها المستمر للقوانين الدولية وإمتلاكها المخزون الكبير من الأسلحة النووية.

ورغم أن المواقف المعلنة لغالبية الدول العربية تدعو إلى الحلول الديبلوماسية، إلا أن المرء إذا أراد أن يمضي في التدقيق أكثر سيجد أن بعض العواصم العربية قد قالت الكلام وعكسه، وأوصل بعضها المفارقة إلى حد إبلاغ وزيرة الخارجية الأميركية أنها توافق على الخيار العسكري مشروطاً بتدمير سلطة الرئيس العراقي، وأنها لاتوافق على عملية عسكرية تبقي الرئيس العراقي في السلطة، لأن من شأن ذلك أن يخلق عبئاً سياسياً لاترغب في دفعه.



وعلى المستوى الشعبي والجماهيري، تظاهر المئات من الفلسطينيين في مخيم الجلزون قرب مدينة رام الله، تأييداً للعراق والقى المتظاهرون الحجارة والزجاجات الفارغة على الجنود الإسرائيليين، وفي القاهرة تظاهر آلاف المصلين بعد صلاة الجمعة في الجامع الأزهر منددين بالرئيس كلينتون، وكان شيخ الأزهر قد دعا في خطبته الأمتين العربية والإسلامية إلى التكاتف للوقوف إلى جانب العراق والدفاع عنه ضد أي عدوان.

في عمان اقتحمت شرطة مكافحة الشغب مسجد الحسيني الكبير وهاجموا المصلين بالهراوات ومن بينهم عضو بارز في جبهة العمل الإسلامي بعد ترديدهم هتافات مؤيدة للعراق.

ولأن الإستثناء لاحكم له، فإن القاعدة تظل كما هي، ويظل الأصل هو أن الشارع العربي وحركته التحررية، مازالا عاجزين وقاصرين عن التصدي للمهمات المنوطة بهما في مواجهة التحديات المفروضة عليهما، ومازال التضامن العربي ضعيفاً فالعالم العربي فاقد الإرادة، بل فاقد الوعي، والشارع العربي مشتت بين تضارب المصالح وتباين الآراء، رغم أن الخطر يداهم الجميع ولن يقف عند حدود العراق، بل سيمتد ليشمل كافة البلدان العربية، بما يخدم رؤية الولايات المتحدة وحليفتها اسرائيل. إننا لانطالب بالحد الأدنى من المواجهة الذي قاد مثلاً إلى مقاطعة قمة الدوحة الإقتصادية، ومن ثم المشاركة في قمة طهران، حتى لانبدو عاجزين عن استيعاب الدروس التي أفرزتها حرب الخليج الثانية.

إن مسلسل الأحداث الذي يعصف بالمنطقة العربية هو حصاد مر لسياسة التفريط والإنهيار الوطني والقومي، بسبب تخلف قوى المجابهة والمعارضة العربية عن استحقاقات المرحلة كونها لم ترتق إلى مستوى هذه المرحلة وتحدياتها على مختلف الصعد، دون إغفال حالة العداء والرفض للمشروع التصفوي. فمجابهة مشروع بهذه الخطورة، وبهذا العمق والشمولية يحتاج إلى رؤية قومية نافذة وفعالة، لأن المشروع المعادي للمنطقة يتناقض مع الحد الأدنى من حقوقنا الوطنية والقومية، ولهذا فإنه يحمل بذور فشله بداخله إلا أن ذلك لن يتحقق ما لم يجر حشد وتعبئة كل الطاقات والإمكانيات الكفيلة باستثمار عناصر القوة التي نمتلكها وطنياً وقومياً، فخطورة أي انتصار أميركي في الأزمة الحالية أنه سيولد مزيداً من الخطابات «الواقعية» تؤكد أن الخطط الأميركية - الإسرائيلية المقبلة بمؤشراتها المعروفة لارادع لها.

تبقى المشكلة الأبرز في الموقف العربي المعتمد علىالولايات المتحدة لحل الأزمة العراقية، كما في عملية السلام، هو أنه للآن ليس صاحب مبادرة فلاسبيل إلا التأكيد أن الأزمة بين أميركا والعراق ليست مشكلة أميركية بالدرجة الأولى بل هي أيضاً مشكلة عربية - خليجية - اقليمية، وبالتالي لابد أن يكون لهذه الدول دور في حل الأزمة، فالمراهنة على بقاء العراق ضعيفاً في ظل حصار مستمر إلى مالانهاية له، مسألة لايمكن السكوت عنها، لأنها جريمة بحق الشعب العراقي الذي يشعر بالإذلال وخيبة الأمل من الموقف العربي، عبر عنها وزير الخارجية العراقي بمرارة حين قال: «لن أفاجأ إذا طلب الأميركان تفتيش شاربي بحجة إخفاء اسلحة جرثومية فيه».

يجب عدم إبقاء المنطقة أسيرة للمنظور الإستراتيجي لأميركا وهي تمارس أقصى درجات الإستفزاز ضد العرب، وتسعى لتقسيم العراق لتكتمل دائرة الحصار حول سوريا لضرب صمودها القومي، في وقت يستمر الحصار على ليبيا والسودان، وتتواصل الإعتداءات على جنوب لبنان، بينما تواصل اسرائيل رفض كافة الضغوط الدولية الداعية إلى وقف الإستيطان والإستخفاف بالقوانين الدولية.

ويجب على الدول العربية أن تسارع لعقد مؤتمر قمة عربي لمعالجة الأزمة، والإستفادة من تمايز الموقفين الروسي والفرنسي وتطويرهما وتفعيلهما، ومن المهم أن يتحول التضامن العربي إلى ضغط عربي على الغرب لمحاصرة الموقف الأميركي وفضحه لمنع الضربة العسكرية، ورفع العقوبات عن الشعب العراقي، إننا ندعو كل الشرفاء من أمتنا بأن يسارعوا للتعبير عن رفضهم لهذه المؤامرة، وكلنا ثقة بأن شعبنا العربي يملك من التاريخ والتجارب والإمكانيات ما هو كفيل بالوقوف أمام مشاريع الحلف الأميركي - الصهيوني - التركي، وإعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي.

أفلا يحتاج الأمر إلى تحرك عربي يتدارك البلاء قبل وقوعه ولو لمرة واحدة ■■

اسرائيل والأزمة الأميركية ـ العراقية

استثمارها في مواجهة عملية السلام وتدعيم الدور الإقليمي

سمير الزبن

لايترك بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي فرصة لتعطيل عملية السلام، إلا ويستغلها إلى الحد الأقصى، وإذا لم توجد هذه الفرصة، فهو يصنعها صناعة بادعاءات كاذبة تجاه هذا الطرف أو ذاك، وخاصة الطرف الفلسطيني، وهو يجد في الأزمة الأميركية ـ العراقية الفرصة المناسبة لتنفيذ سياساته الإلغائية لعملية السلام، بتعزيز الإستيطان، وفرض شروط إضافية على الفلسطينيين وكسب الوقت من أجل فرض وقائع جديدة على الأرض، تعمل على الغاء العملية من أساسها.

ففي الوقت الذي لايحتاج نتنياهو لأية أسباب جديدة لتعطيل عملية السلام، وهذا ما أثبتته المفاوضات الإسرائيلية ـ الفلسطينية الأخيرة في واشنطن، وكذلك المفاوضات التي سبقتها بين الرئيس الأمريكي وكل من نتنياهو وياسر عرفات، فما لم يحققه الرؤساء الثلاثة فمن المؤكد أن المساعدين لن يحققوه، لذلك فإن عملية السلام معطلة بصرف النظر عن الأزمة الأمريكية ـ العراقية. ولكن إذا كان هناك أسباب إضافية للتعطيل فإن ذلك يكون أفضل لسياسات نتنياهو المتعنتة. لذلك، أعاد نتنياهو في ظل الأزمة القائمة التأكيد على مواقفه المعارضة لعملية السلام وعدم ثقته باتفاقات السلام مع العرب، فقد أكد اعتقاده أن اسرائيل تفضل الإعتماد على قدراتها الرادعة بدلاً من الإتكال على معاهدات سلام مع جيرانها التي يصفها نتنياهو بأنها «ديكتاتوريات» وقد استغل نتنياهو الفرصة ليعيد التأكيد على معارضته أن تفرض الولايات المتحدة حلاً للأزمة العربية ـ الإسرائيلية معتبراً ان ذلك «لم يعد ينفع» الآن. وقال إن «مفتاح السلام في المنطقة هو الأمن، واتفاقات السلام منشودة ومهمة في حد ذاتها، إلا أنها لاتوفر السلام» وهو بذلك يعيد انتاج ما كتبه في كتابه «مكان تحت الشمس» بشكل شبه حرفي، عندما أضاف «عندما نكون محاطين بجوار ديكتاتوري فإن الضمان الوحيد أو بالأحرى الاساسي للسلام هو الردع، وهو ما نسميه الأمن» معتمداً على المثال بشأن احتلال العراق للكويت، على أساس أن فعل احتلال صدام حسين للكويت جاء من اعتقاد الأخير بأنه لايوجد ردع أو أمن. ومن هنا يعيد التأكيد على أهمية أمن اسرائيل بصفتها «الديمقراطية الحقيقية الوحيدة في منطقة شاسعة جداً» وهو ما يعتبره حجة قوية بأن اسرائيل لن تقدم «أبداً ومطلقاً أي تنازل في شأن أمنها لأن ذلك يسير عكس السلام» وحتى تحافظ اسرائيل على أمنها يجب أن تحتفظ بـ «مناطق أمنية» واسعة في الضفة الغربية وهي منطقة جبلية شبهها بـ «حصن واق» للدفاع عن الدولة العبرية ضد أي هجوم بري. وقال «من غير المعقول أن يحصل الفلسطينيون على ٩٠ أو ٩٥ أو ٩٨ في المئة من مساحة يهودا والسامرة (الضفة الغربية). لأنه إذا لم تكن لدينا مناطق أمنية مركزية على هذا الحصن الواقي فإننا لانستطيع الدفاع عن البلاد».

إن استخلاص نتنياهو من الأزمة الأمريكية ـ العراقية، هو إعادة التأكيد على التعنت الإسرائيلي في عملية السلام، فللأرض أهمية استراتيجية لأمن اسرائيل، ولأن اسرائيل لاتستطيع أن تحيا بدون أمن، فإن اسرائيل تحتاج إلى السلام مع الأمن، وبترجمة الأمن إلى صيغة جغرافية، فإن ذلك يعني السلام مع الإحتفاظ بالأرض، فالأرض بالنسبة لإسرائيل أهم من عملية السلام، إن الدرس الجديد/القديم الذي يقدمه نتنياهو هو أن أي تطور يخدم سياسات نتنياهو يدق مسماراً جديداً في نعش عملية السلام الميتة.

ولايترك نتنياهو فرصة لإدانة الفلسطينيين واتهامهم بالسلوك «الإرهابي»... حيث أدان «تعبير الفلسطينيين عن تأييدهم للعراق» واتهمهم بـ «تمجيد الإرهابيين الذين يفجرون الباصات ويغتالون النساء والأطفال» كما اتهمهم بـ «جلب الأسلحة عن طريق التهريب إلى أراضيهم». وقال «أن التأييد الفلسطيني للرئيس العراقي يهدد بتقويض عملية السلام المتعثرة». ومن هنا، لايستبعد أن تقوم إسرائيل بإجراءات عقابية ضد الفلسطينيين في حالة اندلاع الحرب عقاباً لهم على الموقف الذي يدعيه نتنياهو بتأييد العراق، مما يعني أن نتنياهو سيعمل على أن يدفع الفلسطينيون ثمن الأزمة القائمة.

ومن المؤكد أن اسرائيل كانت جزءاً من افتعال الأزمة مع العراق، دون التقليل من المصالح الأمريكية في ضرب العراق، ووقوفها جراء ذلك في مواجهة أكثرية دول العالم والمنطقة، ودور هذه الضربة في اعادة ترتيب أوضاع المنطقة. فقد نقلت صحيفة يديعوت أحرنوت عن مصادر اسرائيلية تفاصيل لقاء جمع طارق عزيز وكبير مفتشي الأمم المتحدة



ريتشارد بتلر وقد قال فيه بتلر: أن «لدينا معلومات جديدة أنه لايزال بحوزتكم أسلحة جرثومية وكيماوية» وكانت اجابة عزيز «أعرف مصدر معلوماتكم وهو مصدر غير موثوق فيه» واضاف عزيز «أنتم تحصلون عليها من اسرائيل» وكان رد بتلر «نحن نستقي معلوماتنا من مصادر عدة» كما أن تصريح بتلر بأن العراق يملك من الأسلحة ما يكفي لتدمير تل أبيب، ليس بالتصريح البريء، فليس هناك أي مبرر لاختيار تل أبيب، فقد كان بتلر يستطيع أن يذكر أي عاصمة عربية بصرف النظر عن صحة ما يقول عن هذه الإمكانية العراقية، لكن هذا الإختيار لتل أبيب له مدلوله الذي لايخفى على أحد.

لقد ولّد هذا التصريح الذي أدلى به بتلر حالة من الذعر في اسرائيل، تمثلت في تدفق الآلاف لإستلام الأقنعةالواقية من مراكز التسليم، والنقص في الأقنعة الواقية جعل اسرائيل تفتح جسراً جوياً مع أوربا وأمريكا من أجل تلافي هذا النقص، في الوقت الذي تستعد اسرائيل للتعامل مع هذه الأزمة من خلال حالة الإستنفار جراء توقع اسرائيل لتوجيه ضربات عراقية إلى اسرائيل، ورجحت التقديرات الإستخبارية الإسرائيلية قيام طيارين انتحاريين بغارات جوية على اسرائيل، مشيرة إلى أن طائرة واحدة من نوع «سوخوي» أو «ميراج أن 1» تستطيع ان تحمل كمية سلاح بيولوجي تساوي زنة ما يمكن عشرة رؤوس حربية مركبة على صواريخ تحمله. إن هذه التوقعات الإسرائيلية، ورغم عدم واقعيتها، وتأكيد العراق عدم نيته بتوجيه ضربة إلى اسرائيل، إلا أن التأكيد الإسرائيلي يهدف إلى الإحتفاظ بحق الرد على الهجمات العراقية، ولايستبعد أن تكون الضربات الاسرائيلية ضربات وقائية، أي أنها لاتحتاج إلى أن يبدأ العراق الضربات، فهي تستطيع ان تدعي الضرب لمنع العراق من توجيه الضربات إلى اسرائيل، وقد أكد اسحاق مردخاي وزير الدفاع الإسرائيلي حق اسرائيل في الرد إذا تعرضت لهجوم وقال «علينا حماية البلاد والدفاع عنها. وإذا تعرضنا لهجوم فإن الحكومة الإسرائيلية وحدها هي التي تقرر ما نفعل وكيف» كما قال «بأن اسرائيل ستطلب من الولايات المتحدة ارجاء الهجوم على العراق إذا كانت الإستعدادات الإسرائيلية للرد على اية ضربة عراقية لم تكتمل بعد» وقد كان وزير الدفاع ويليام كوهين قد تراجع عن مناشدة اسرائيل «الإحجام عن الرد على أي هجوم عراقي» مؤكداً «حق اسرائيل في الدفاع عن نفسها» وهو ما كرره نتنياهو.

إن اسرائيل التي تتوعد العراق بالرد على الهجمات العراقية المحتملة، كانت جزءاً من افتعال الأزمة وأنها الدولةالوحيدة صاحبة المصلحة الأكبر في ضرب العراق. ففي هذه الأزمة وفي حال نشوب حرب، لن تجد اسرائيل يدها مقيدة في ضرب العراق، فالأسباب التي دعت الولايات المتحدة لعدم الرد على الهجمات العراقية في العام ١٩٩١ لم تعد قائمة. ففي ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة تحتاج إلى التأييد العربي لتوجيه الضربة إلى العراق ولإضفاء المشروعية على سلوكها، ولأن الأوضاع العربية اتجهت إلى الأسوأ منذ ذلك الوقت، فإن الولايات المتحدة تجد نفسها متحررة من الموافقة العربية على ضرب العراق، لأنها تحاول أن تظهر نفسها بمثابة المنفذ لقرارات الأمم المتحدة وإن كان ذلك بأداة أمريكية. وبالتالي تجد اسرائيل نفسها متحررة من الضغوط الأمريكية التي مورست عليها في العام ١٩٩١ من أجل عدم الرد.

إن المشاركة شبه المؤكدة لإسرائيل في حال توجيه الضربة العسكرية الأمريكية للعراق، لا يتعلق بالرد على هجمات العام ١٩٩١ فحسب، بل ستعمل من خلال هذه المشاركة على تأييد أهميتها الإستراتيجية في المنطقة بعد التقديرات الكثيرة التي انطلقت من تراجع دورها بعد تلقي ضربات العام ١٩٩١ دون أن يملكوا حق الرد. أما ما اعتبر تراجعاً في قوة الردع الإسرائيلية في ذلك الوقت ستسعى اسرائيل لتعديله، من هنا ستسعى لأن تكون ضرباتها مؤثرة، وليست تفصيلاً يضاف إلى قوة النار الأمريكية، وهي فرصة نتنياهو ليثبت فعالية الذراع الرادعة الإسرائيلية القوية والطويلة. وتجد هذه الفرصة الإسرائيلية المناخ المناسب في ظل حالة الشلل والضعف العربي، مما يؤكد تفوق اسرائيل، ويعيد لها هيبة الردع الذي يتحين نتنياهو الفرصة لإثباته.

ولأن اسرائيل تجد الشروط المناسبة لها في حال وقوع الضربة العسكرية، فإنها تعمل كل ما في وسعها للتحريض على ضرب العراق. فهذه الضربة من الزاوية الإسرائيلية تقوم على خدمة هدفين هما جوهر سياسة نتنياهو، الأول اعادة الإعتبار لقوة الردع الإسرائيلية وتأييد تفوقها النوعي على دول المنطقة، والثاني أن شروط الضربة تجعل إمكانية الخلاص من الإتفاقيات مع الفلسطينيين قائمة، خاصة في ظل تحرك الفلسطينيين من أجل تأييد العراق، وهو في أسوأ الحالات سيعمل على إشغال الولايات المتحدة في قضية أخرى في المنطقة، مما يعلق المطالب الأمريكية تجاه اسرائيل من أجل تحريك عملية السلام.

إذا كانت الولايات المتحدة هي المستفيد الأول من ضرب العراق على المستوى الدولي، فإن اسرائيل هي المستفيد الأول والوحيد على مستوى المنطقة، لذلك ستعمل كل جهدها من أجل وقوع هذه الضربة ■■

أكثر من عام ونصف على حكومة نتنياهو والوضع على حاله

أشرف العجرمي

للوهلة الأولى تبدو حكومة اليمين الإسرائيلية وكأنها على وشك السقوط وكأن بنيامين نتنياهو رئيس هذه الحكومة يعد الأيام للإعلان عن الوصول إلى خط النهاية في سيرته السياسية. هذا الوضع في الحقيقة ليس جديداً. فقد مرت حكومة نتنياهو بأزمات عديدة بدت في كل مرة كالأزمة المستحيلة التي لابد وأن يفرط عقد الحكومة لعدم إمكانية تجاوزها. ولكن في كل مرة كان بنيامين نتنياهو قادراً على فعل المستحيل والتغلب على أخطر الأزمات.

نتنياهو فاز في الإنتخابات الإسرائيلية عام ٩٦ لأنه استطاع أن يقنع قطاعات واسعة من الجمهور الإسرائيلي بأنه قادر على أن يحقق لإسرائيل شروطاً أفضل لتحقيق السلام الذي يضمن المصالح الإسرائيلية وخاصة في موضوع الأمن من تلك التي يمكن أن يحققها حزب العمل بزعامة شمعون بيرس، فاستطاع أن يقنع أحزاب اليمين وبالذات الأحزاب الدينية والمستوطنين بأنه سيسعى لتحقيق مطالبهم الخاصة. وفي كل الأحوال فإن ما نادى به نتنياهو هو التخلص من اتفاق أوسلو، ليس من خلال المعارضة الصريحة أو رفض الإلتزام بتطبيقه، بل عبر حرف الإتفاقية عن مسارها وفرض برنامجه الخاص. ولاشك أنه استفاد بصورة كبيرة من العمليات العسكرية المكثفة التي نفذتها حركة حماس عشية الإنتخابات ليسوّق شعاره الإنتخابي «السلام الآمن».

لايمكن بأي حال وصف نتنياهو بالغباء - كما يحلو لبعض الصحافيين العرب أن يصفوه بذلك - فهو قد أتى للحلبة السياسية ضمن برنامج وخطة مدروسة جيداً استطاع ان يحققها بنجاح خطوة - خطوة وفي كل مرة كان يثبت عبقرية خاصة وذكاء حاداً. فأولاً هزم قيادات وشخصيات حزب الليكود التاريخية في الإنتخابات التمهيدية التي جرت في الحزب بعيد هزيمته في الإنتخابات العامة لعام ٩٢ وأثبت قدرة كبيرة في توحيد الحزب والتخلص من المعسكرات المتناحرة، وقدرة أكبر في تكوين ائتلاف حكومي من أعقد الإئتلافات التي شهدتها اسرائيل خلال تشكيل حكوماتها المختلفة. فهذا الإئتلاف يجمع أحزاباً من أقصى اليمين وحتى الوسط المعتدل. ولكن المهم في هذا الأمر هو نجاحه في الجمع بين برامج سياسية وحزبية مختلفة في إطار برنامج واحد هو برنامج الحكومة على الرغم من التناقض - الذي يبدو حله غير ممكن - بين هذه البرامج.

صحيح أن الإئتلاف الحكومي المعقد قد خلق العديد من المشكلات لنتنياهو بسبب الكم الكبير من التناقضات بين أطرافه، إلا أنه استطاع أن يثبت استقراراً وقدرة كبيرة على الصمود في وجه الهزات المختلفة التي تعرض لها. ويمكن أن يسجل لصالح نتنياهو نجاحه في البقاء على رأس الحكومة الإسرائيلية لأكثر من عام ونصف دون أن يضطر لتقديم تنازلات جوهرية في برنامجه الذي يلتزم به. فقد تمكن من تجاوز اتفاق الخليل الذي وقعته حكومته والذي كان يمكن أن يودي به لشدة معارضة بعض الجهات اليمينية له، وبرغم تشكيل «جبهة ارض اسرائيل» و «قوة ١٧» وهو تكتل يميني هدفه وضع الحواجز أمام الحكومة لعدم تقديم ما يمكن أن يرى به تنازلاً عن خطوط الحكومة الأساسية وتعهدات بنيامين نتنياهو لليمين. فقد حظى اتفاق الخليل بتأييد واسع في الحكومة والكنيست ومر بسلام.

مع ذلك استمر نتنياهو بتطبيق برنامجه الذي يقضي بتوسيع وتكثيف الإستيطان في القدس ومختلف مناطق الضفة والقطاع، وجرد اتفاق الخليل من مضمونه ولم ينفذ منه سوى الإنسحاب الجزئي من مدينة الخليل نفسها مع بعض القيود التي فرضها على حركة السكان وخاصة إغلاق شارع الشهداء لفترة طويلة ومواصلة الإعتداء على حقوق المواطنين الفلسطينيين.

فيما يتعلق بإعادة الإنتشار التي شملها الإتفاق والتي كان من المفروض أن تنفذ على ثلاث مراحل أولها في شهر آذار ٩٧ وآخرها في ربيع عام ٩٨، فإن الحكومة الإسرائيلية قد قررت أن تسلم السلطة حوالي 2٪ من مساحة الضفة الغربية من مناطق (ج) ومنعت بقرارها ذلك تطبيق المرحلة الأولى. واستغلت العمليات التي نفذتها حماس في مدينة القدس الصيف الماضي في التذرع بعدم الإلتزام بالمرحلة الثانية من عملية إعادة الإنتشار بحجة أن السلطةالوطنية الفلسطينية لم تف بإلتزاماتها الأمنية التي نصت عليها الإتفاقية الإنتقالية عموماً واتفاق الخليل بصورة خاصة.

ومن ناحية أخرى لم يتم الإلتزام بتنفيذ البنود العالقة الأخرى كالممر الآمن والمطار والميناء وإطلاق بسراح المعتقلين. والأهم من ذلك كله وقف الإستيطان وعدم اتخاذ خطوات من جانب واحد تؤثر على المفاوضات حول التسوية الدائمة. وبالرغم من إجراء العديد من جولات التفاوض حول الأمور موضع الخلاف إلا أنه وبصورة متعمدة منعت حكومة نتنياهو احراز أي تقدم يذكر في مختلف هذه المسائل.

الإستراتيجية التي اعتمدها نتنياهو في إدارته للعملية السياسية والمفاوضات مع الجانب الفلسطيني والعربي تقوم على ضرورة إجبار الفلسطينيين والعرب والعالم على الإعتراف بأن هناك حكومة مختلفة ومغايرة في إسرائيل لايمكنها أن تطبق الإتفاقية نصاً وروحاً ولها مفهومها الخاص لكل بند من البنود، والتأقلم مع هذا الوضع. وهذا ما أعلنه نتنياهو في أكثر من مناسبة. ويمكن القول أنه نجح جزئياً في فرض هذه

الحقيقة. فالمفاوضات مع سوريا توقفت تماماً لرفض الإعتراف الإسرائيلي بما تم الإتفاق عليه بين الجانبين الإسرائيلي والسوري قبل الانتخابات في اسرائيل وبالتالي الإمتناع عن إجراء المفاوضات بين الطرفين من النقطة التي توصلت عندها أي الموافقة الإسرائيلية المبدئية على الإنسحاب من الجولان مقابل الترتيبات الأمنية. فموقف حكومة نتنياهو يرفض فكرة الإنسحاب الكامل من الجولان بل أن أحزاباً في الإئتلاف لم يكن في وسعها الإشتراك في الحكومة لولا ضمان هذه المسألة بالذات.

وتحولت المفاوضات الإسرائيلية ـ الفلسطينية إلى اللجان الفرعية الكثيرة وغرقت في التفاصيل الصغيرة بعيداً عن جوهر المسائل. بحيث أضاعت الوقت في البحث حول ما إذا كانت اسرائيل توافق على السماح للفلسطينيين باستخدام المطار أم لا وما هي الترتيبات الأمنية التي تخولها السيطرة على حركة المطار... وكذا الحال بالنسبة لباقي البنود. أما الشروط الأساسية لنجاح المفاوضات فقد تم استبعادها وأهمها وقف الإستيطان ومصادرة الأراضي وتسليم غالبية المناطق في الضفة الفلسطينية للسلطة الوطنية. حتى عندما وضع الجانب الفلسطيني شرطاً لإستئناف المفاوضات التي توقفت في أعقاب البناء في جبل أبو غنيم بوقف الإستيطان هناك وفي القدس والمناطق الفلسطينية المحتلة، فقد تم التخلي عنه في غمرة الحملة الإسرائيلية المضللة التي جاءت على خلفية العمليات الانتحارية في القدس. وبطريقة أو بأخرى فرض الطرف الإسرائيلي رؤيته الخاصة للعملية التفاوضية التي تحولت إلى طحن الماء والدوران في حلقة مفرغة.

موقف الحكومة الإسرائيلية من المفاوضات الإسرائيلية ـ الفلسطينية بشكل خاص أدى إلى خلق رأي عام عربي موحد وحازم تجاهها. يرفض التعاطي مع اسرائيل سياسياً واقتصادياً، وهذا ما فرض نفسه على المستوى الرسمي العربي في مؤتمر الدوحة الإقتصادي وفي تحول العلاقات العربية ـ الإسرائيلية إلى باردة أو مجمدة. وكل الجهود والضغوط الأميركية لإنجاح المؤتمر الإقتصادي ولضمان الحصول على تأييد الأنظمة العربية للولايات المتحدة في أزمتها مع العراق قد باءت بالفشل.

شعور الولايات المتحدة بأن مصالحها قد تتضرر نتيجة تصرفات اسرائيل. جعلها تمارس بعض الضغوط على حكومة نتنياهو لتنفيذ قسم من إلتزاماتها تجاه الفلسطينيين. ومع ذلك فالنتيجة لاتخرج عن السياق العام للموقف الإسرائيلي. وكل ما أفرزته الضغوط الأميركية هو الموافقة الإسرائيلية على تنفيذ المرحلة الثانية من إعادة الإنتشار ولكن ضمن شروط وتقييدات تجعل من ذلك أمراً مستبعداً إن لم يكن مستحيلاً. فالحكومة الإسرائيلية تشترط تنفيذ هذه المرحلة بدمج المرحلتين الأولى والثانية معاً بحيث تكون نسبة المناطق التي يجري التخلي عنها لصالح الفلسطينيين لاتتعدى ١٠٪ في أفضل الأحوال، وأن يوافق الفلسطينيون على عدم المطالبة بتنفيذ المرحلة الثالثة التي ستتحول كباقي الأمور الجوهرية إلى مفاوضات التسوية الدائمة. وأيضاً أن تلتزم السلطة الفلسطينية بتنفيذ كل ما هو مطلوب منها اسرائيلياً في مجال إلغاء الميثاق ومحاربة «الإرهاب».

المطالب الإسرائيلية هذه ليست جديدة وهي تنطلق أساساً من رفض الإقرار بقرار المجلس الوطني الفلسطيني الذي ألغى البنود التي تتعارض مع العملية السلمية على اعتبار أنه تعديل جاد يغير بصورة جوهرية مضمون هذا الميثاق. ومن جهة أخرى عدم الإكتفاء بالتنسيق الأمني الحالي الذي يعترف قادة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بأنه يسير بصورة جيدة. وما تريده الحكومة الإسرائيلية هو أن تتحول الأجهزة الأمنية الفلسطينية إلى أداة بيد الجهاز الأمني الإسرائيلي الذي ما عليه سوى أن يصدر الأوامر باعتقال فلان وتسليم فلان وإغلاق المؤسسة هذه أو تلك. أي أنها ستظل في حالة عدم رضى تمكنها من توفير المبررات لعدم الإلتزام بتنفيذ اعادة الإنتشار.

الموقف الذي أعلنته حكومة اسرائيل من هذه المسألة والذي لم يحدد مساحة الأراضي التي تعتزم الإنسحاب منها، يساعد نتنياهو في تجاوز أي أزمة محتملة لهذا السبب. وهذا ما أقنع غالبية وزراء حكومته للتصويت لصالح هذا القرار الذي يمكن لأي شخص أن يفهمه كما يريد. فبالنسبة للذي يريد تطبيق الإتفاقية والإستمرار في العملية السلمية يمكنه أن يقول له أننا اتخذنا قراراً مبدئياً بالإنسحاب وتطبيق إعادة الإنتشار. أما فيما يخص الذين يرفضون «التنازل» عن أي شبر، فإنه سيقول لهم من قال لكم أن الفلسطينيين سيقبلون بذلك... وهكذا يبقى أمامه المجال واسعاً للمناورة بين التنفيذ وعدم التنفيذ لإرضاء الجميع.

وكما تخلص من الآثار المترتبة على فضيحة تعيين المستشار القضائي للحكومة «بار اون» وقضية «مشعل غيت»، فإن نتنياهو على ما يبدو سيتجاوز بصورة ما الأزمة الداخلية في الليكود والتي أثارها من خلال إلغائه للإنتخابات التمهيدية التي تمنح جميع أعضاء الحزب الحق بالمشاركة في انتخاب قائمة الحزب للكنيست القادمة، بهدف السيطرة على جميع الوزراء وأعضاء الكنيست وإملاء مواقفه عليهم كونه يتمتع بأغلبية واضحة وحاسمة في اللجنة المركزية المسماة «مركز» الليكود.

الخطوات التي أقدم عليها بدفع مدير عام مكتبه للإستقالة من منصبه، والموافقة على تشكيل لجنة تحقيق حتى لو انتهت ولم تخرج بنتيجة، ومشاركة الوزراء من أعضاء الليكود في قراره بإعادة الإنتشار، ساهمت في تعزيز الحكومة والتفافها حوله وحصوله على دعمها لموقفه.

سياسة الغموض وإمساك العصا من المنتصف ساعدت في استمرار الإئتلاف الحكومي حتى الآن والذي لايبدو أنه على وشك الإنهيار على الرغم من أن حزب العمل وهو حزب المعارضة الرئيس قد اتخذ قراراً بالإستعداد لإنتخابات مبكرة. فالمعارضة الإسرائيلية قد فشلت تماماً في تقويض أسس استمرار وبقاء الحكومة، وليست في وضع يمكنها من ذلك حتى في ظل الأزمة الحالية.

مع ذلك يمكن للسلطة الوطنية الفلسطينية والدول العربية أن تسرّع في إنهيار حكومة نتنياهو في حال اعتماد سياسة حازمة ضدها تقوم على أساس تعريتها تماماً وعدم تقديم أي شكل من اشكال الغطاء التي تستغلها جيداً لصالحها وذلك بوقف التفاوض معها حتى تعلن صراحة إلتزامها بأسس العملية السلمية وفي المقدمة منها وقف عملية الإستيطان ومصادرة الأراضي وتنفيذ إعادة الإنتشار كما تنص عليها الإتفاقية الإنتقالية بتسليم الغالبية الساحقة من مناطق الضفة للسلطة الفلسطينية والقبول غير المشروط بمبدأ الأرض مقابل السلام وتطبيق قراري ٢٤٢-٣٣٨ بحيث يكون هو عنوان مفاوضات التسوية الدائمة وهدفها الرئيس ■■

الرفيق تيسير قبعة: أولى نقاط قوتنا هي وحدتنا

ألقى الرفيق تيسير قبعة عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية ونائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني كلمة في الدورة الطارئة لمجلس الإتحاد البرلماني العربي ١٤-١٦/١٢/١٩٩٧، في طرابلس وفيما يلي بعض ما ورد فيها:

السيد الرئيس

الأخوات والأخوة الزملاء الأفاضل

فإنه لمن المهم والضروري أن نجتمع اليوم كبرلمانيين عرب، هنا على أرض الجماهيرية الليبية العظمى لنثبت مجدداً تضامننا اللامحدود مع الجماهيرية في وجه الحصار الظالم المفروض عليها، ولكي نعبر عن وحدتنا في مواجهة الأخطار التي تتعرض لها أمتنا العربية، ولنتباحث في سبل تعزيز اتحادنا وعملنا المشترك لخدمة حقوق وأهداف ومصالح أمتنا جمعاء.

فالموضوع الذي نجتمع بخصوصه، هو على غاية من الأهمية من حيث المبدأ. لكنه يزداد أهمية في ظل الظروف التي نعيشها وتمر بها أمتنا العربية راهناً.

فعلى أبواب القرن الواحد والعشرين، تنتصب أمام أمتنا تحديات جسام تطرح أسئلة عديدة حول كيفية دخول القرن القادم في ظل عالم التكتلات السياسية والإقتصادية الكبرى، والتطور التقني الهائل للإتصالات والبث الفضائي الزاحف وثورة المعلومات والتنافس الإقتصادي والتكنولوجي المحموم. ولعل إجابتنا على هذه الأسئلة اليوم، من منطلق تلمس التحديات الراهنة والمنظورة في سياق الظروف التي نعيش، ونزعات التطور الموضوعية، تتطلب البحث الجماعي والعقل الجماعي، والنظر للأمور ليس من وجهة نظر المصالح الوطنية فحسب، بل ومن وجهة نظر المصالح القومية العامة أيضاً.

فأمتنا تعيش اليوم مرحلة حساسة وحرجة، تواجه فيها تحديات جساماً لاتتصل بمدى فاعليتها، بل بوجودها أيضاً. ولعل سؤال الوجود هو الذي يدفعنا للتعامل مع الراهن من أجل النقاط كل نقاط القوة وتفعيل الطاقات الكامنة المتوافرة في كل بقاع هذا الوطن.

ولعل أولى نقاط قوتنا، هي وحدتنا،نعم، فالوحدة هي سلاحنا الأمضى لمواجهة التحديات وتوفير إمكانية ولوج القرن الحادي والعشرين بهيبة وإحترام... أما التشتت والتشرذم فهو الكارثة.

إن الإستهدافات الإمبريالية الأمريكية من وراء حصار ليبيا والعراق والسودان، والإنحياز السافر لإسرائيل وسياساتها العدوانية ودعم تحالفها المشبوه مع تركيا، إنما يستهدف النيل من صمود ومقاومة القوى الحية في امتنا والحيلولة دون استمرارها قوى فاعلة في العمل العربي المشترك ودعم قضايا أمتنا العربية العادلة ومواجهة الصلف والعنجهية الصهيونية والسياسات العدوانية الإسرائيلية التي تتنكر للحقوق الوطنية الفلسطينية والعربية.

تنعقد دورة مجلس اتحادنا البرلماني العربي الطارئة هذه، في ظروف نشهد فيها استمرار السياسات العدوانية الإسرائيلية المتنكرة لحقوق شعبنا الفلسطيني، والتي تجد تجلياتها الواضحة في الإستيطان المحموم الذي يشمل كل الأرض الفلسطينية المحتلة وتهويد القدس واحتجاز الأسرى والمعتقلين كرهائن واستمرار الحصار والتجويع وتقطيع أوصال الوطن والتنكر لحقوق النازحين واللاجئين، واستمرار العدوان على جنوب لبنان وقتل المدنيين الأبرياء والضرب بعرض الحائط كل قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية التي تؤكد الحقوق الفلسطينية والعربية.

وتستهدف سياسة وإجراءات الحكومة اليمينية المتطرفة في إسرائيل بزعامة نتنياهو أن تفرض أمراً واقعاً على شعبنا العربي الفلسطيني والضغط عليه لقبول إملاءاتها وشروطها لحل قضيتنا الوطنية، بما يؤبد الحكم الذاتي تحت السيادة الإسرائيلية مستبعدة قيام دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس. والحل العادل لقضية اللاجئين الذي يضمن لهم حق العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا منها.

إن هذا الواقع يتطلب موقفاً عربياً موحداً، رافضاً لإملاءات وشروط وسياسات اسرائيل، موقفاً داعماً لشعبنا العربي الفلسطيني ولسوريا ولبنان لتأكيد الحقوق العربية.

نداء من أجل حق العودة للفلسطينيين ١٩٤٨-١٩٩٨

«أصدرت هيئة الأمم المتحدة قراراً يسمح لكل اللاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم في أقرب وقت ممكن والعيش بسلام مع جيرانهم والتعويض عليهم وعلى من لايود العودة بكل مفقوداتهم...»

(قرار رقم ١٩٤ - هيئة الأمم المتحدة - الصادر في ١٢/١١/ ١٩٤٨)

نحن الموقعين على هذا النداء الذي يطالب بحق العودة للاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من منازلهم ومن أرضهم منذ ١٩٤٨، نجد بأن الوجه المخفي لـ «المعجزة الإسرائيلية» عليه ألا ينسى في احتفالات الذكرى الخمسين لتأسيس دولة اسرائيل:

- هذه الدولة التي تعتبر نفسها ملجأ «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، تأسست بتهجير عام ١٩٤٨ حوالي المليون فلسطيني من ديارهم ومن أرضهم. هذا التهجير أو الترحيل تم عبر سلسلة من الأعمال الإرهابية والمجازر. وأهمها مجزرة دير ياسين في ٩ نيسان ١٩٤٨.

- هذه الدولة التي تشجع وتنصح «بحق العودة» لجميع يهود العالم، تنكر وترفض حق عودة الفلسطينيين الأصليين.

- الشعب الفلسطيني تم تحويله إلى شعب لاجئ، في يومنا هذا، أكثر من ٥ ملايين شخص مكدسين، بمعظمهم في مخيمات تعيسة في الضفة، غزة، لبنان، الأردن، وسوريا وغيرها من البلدان.

- يعاني الفلسطينيون من السياسة الإسرائيلية القامعة، من الإستيطان، من الضغوطات، من التأنيب الجماعي، من الإهانة، من حصار المناطق، من القصف والمجازر...

وبما أننا نعتقد بأن حق العودة، الذي تؤيده الأجيال الفلسطينية، هو حق لانستطيع التغافل عنه ونكرانه، فنحن نبعث نداء للدول المهتمة - المؤسسات الدولية وجميع الاشخاص للقيام ما بوسعنا للوصول إلى الأهداف التالية:

- الاعترف بالألم والخطأ الذي يعاني منه الفلسطينيون منذ ٥٠ عاماً.

- تطبيق قرار الأمم المتحدة (خصوصاً قرار رقم ١٩٤) المنادي بحق عودة الفلسطينيين إلى أراضيهم.

- التأييد المادي والسياسي للاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون في ظروف تعيسة ومأساوية.

حملة من أجل
حق العودة للفلسطينيين
- باريس/ فرنسا -
كانون الثاني ١٩٩٨

تضامن جماهيري في السويد مع الشعب العراقي

بدعوة من الجمعيات العربية المتواجدة في مدينة غتنبرغ Gothenborg، قامت مظاهرة صامتة احتجاجاً على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الإرهابية ضد العراق وشعبه المناضل. يوم الأحد ١٩٩٨/٢/٨ في المدينة عينها.

تحت شعارات ارفعوا الحصار الإقتصادي الجائر عن شعب العراق وأطفاله.

أوقفوا الترتيبات الأمريكية العسكرية من أجل ضرب العراق.

لا للسياسات الأمريكية الحاقدة ضد العراق...

لقد سارت التظاهرة في وسط المدينة التجاري وتم توزيع منشورات تطالب السويد بالعمل على وقف الأعمال العدائية من قبل أمريكا ضد العراق.

شكراً

تتوجه ادارة مجلة الهدف بالشكر والتقدير للجالية الفلسطينية في مدينة منستر في ألمانيا على تبرعهم لمجلة الهدف بمبلغ ١٠٠٠ مارك.

بلاغ صادر عن المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري حول التهديدات الأمريكية للعراق

أصدر الحزب الشيوعي السوري بياناً على أثر اجتماع مكتبه السياسي مؤخراً برئاسة أمينه العام يوسف فيصل، وفيما يلي أبرز ما دعا إليه:

أولاً: إلى أن هذا التصعيد في التهديدات الأمريكية وما يصحبه من نشاط سياسي، وضغوط على الدول المجاورة للعراق، ومن حشد لقوى ووسائل التدمير في مناطق الخليج بخاصة، إنما هو تصعيد ليس له أي مبرر قانوني أو أخلاقي، وهو سيدفع بالأمور فيما إذا جرى تحويل الأقوال إلى أفعال، إلى كوارث لايعرف مداها.

ثانياً: وإلى أن هذا التصعيد يلقى معارضة متعاظمة عربياً، وإقليمياً، وعالمياً فباستثناء الدعم الإنجليزي وموافقة الكويت الخجولة والمعروفة الدوافع، تتصاعد قوةً كل يوم، الأصوات المعارضة له ولإستخدام القوة العسكرية ضد العراق، والمحذرة من نتائجه الخطيرة بما في ذلك على قضية السلام في المنطقة والعالم، والداعية إلى حل الأزمة، بين العراق والولايات المتحدة الأمركية بالطرق الدبلوماسية. واللافت للإنتباه أن الدول الثلاث: الصين روسيا وفرنسا، وهي من الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، تعارض بكل وضوح استخدام القوة العسكرية ضد العراق وتعتبر ذلك أمراً مخالفاً للشرعية الدولية ويخلق أوضاعاً خطيرة في المنطقة والعالم وتهديداً جدياً للسلام العالمي.

ثالثاً: وإلى أن ادعاءات الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تفعل حرصاً على الشرعية الدولية، ما هي إلا نوع من الرياء والكذب المفضوحين. فمن يحرص على هذه الشرعية يفعل ذلك بالنسبة للجميع، ولايمكن أن يكون حامياً لإسرائيل وحكامها من أمثال نتنياهو في تحديهم للرأي العام العالمي.

رابعاً: وإلى أن الإدارة الأمريكية إنما تسلك خطها التصعيدي الراهن لأكثر من غاية: لفرض إرادتها على المجتمع الدولي وفرض قراراتها دون أي اعتبار لرأي الآخرين وللشرعية الدولية، ولإحكام القبضة على النفط العربي ونفط بحر قزوين وللإستمرار في ابتزاز دول الخليج وفي نهب ثرواتها وتحويلها إلى قواعد عسكرية ثابتة ودائمة وللهروب من نتائج الفضائح المتعلقة بكلينتون والتي يستغلها غلاة الصهيونية من مؤيدي نتنياهو إلى الحد الأقصى.

خامساً: إلى أن مواقف الدول العربية والإسلامية هي بالإجمال مواقف مشرفة وإلى أن الإستمرار عليها وتصعيدها سيكونان بين أهم العوامل لمنع الكارثة وخلق الأجواء المناسبة لمتابعة النضال في سبيل رفع الحصار عن الشعب العراقي الشقيق والشعب الشقيق في الجماهيرية الليبية، ولمتابعة النضال في سبيل السلام العادل الشامل في المنطقة وضمان أمن شعوبها.

ويؤكد المكتب السياسي في هذا المجال الأهمية الكبرى للموقف الذي تقفه سورياً شعباً وحكومة وقيادة سياسية وعلى رأسها السيد الرئيس حافظ الأسد، وهو يرى في هذا الموقف وسيلة لتعزيز

تنـويـــه

الأخوة الأعزاء في هيئة تحرير «الهدف»

فوجئت لدى مطالعتي للعدد السنوي من مجلتكم الغراء «الهدف» رقم ١٢٧٥ (تا ١/١/١٩٩٨). بمقال لي سبق أن نشرته في «الهدف» العدد (١٢٤٣)، تا ٢٨/٧/١٩٩٦)، وعنوانه: «البرنامج الإقتصادي لحكومة نتنياهو ـ مقدمات انقلاب اقتصادي ـ سياسي في اسرائيل» ، ص ٢٤-٢٥ وقد نشر هذا المقال بنسبة ٩٠٪ في إطار مقال آخر لزميل آخر في العدد السنوي المذكور.

وكنت في وقت سابق قد لفت نظر الزميل المشرف على الهدف د. ماهر الطاهر إلى أن هذا الزميل (نفسه) سبق وأن نشر «دراسة» على عدة حلقات في أعداد الهدف (١٢٤٠-١٢٤١-١٢٤٢) الصادرة في تموز ١٩٩٦ تضمنت فقرات وعواميد كاملة من دراسة لي عنوانها: «النظام الإقليمي الجديد الإقتصادي السياسي والأهداف» نشرتها في مجلة شؤون الأوسط (بيروت) العدد ٣٦/ك١ ١٩٩٤، ص ٥٥-٦٤ وأيضاً من مداخلاتي في «ندوة العرب وتحديات الشرق أوسطية» التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت تشرين الثاني/١٩٩٣، واصدر أعمالها في كتاب عن المركز.

وفي حينها اكتفيت بذلك لعل هيئة التحرير تنتبه إلى ما قام به هذا الزميل: أو لعلها توجه ملاحظة له.

ويبدو أن هذا الزميل قد استسهل هذه الوضعية التي لاتليق بمثقف، فضلاً عن مثقف يهتم بموضوع الفكر السياسي. ونظراً للتكرار وبالاخص نظراً للإستهتار والإستخفاف الذي بلغته «جراة» هذا الزميل الذي استولى هذه المرة على موضوع لزميل له في مجلة «الهدف» ذاتها! وليس في مجلة أخرى (كما في المرة الأولى التي أشرت إليها) فإنني أعتقد بأنه من الضروري الإشارة إلى هذه الواقعة التي لاتشرّف أحداً. وعليه فإنني لا أتوخى إثارة مشكلة ولافضيحة، كما أنني لاأود الضرر معنوياً بالزميل المذكور، ولكنني اترك الأمر في هذه المرة لجرأة افترضها لدى هذا الزميل للتراجع عما يقوم به، وللإعتذار عن مسلكه هذا، كما أكتفي بوضع كافة الوثائق لدى هيئة تحرير «الهدف» ونصيحتي لهذا الزميل الذي لا أعرفه شخصياً أن يلجأ إلى بذل مزيد من الجهد ومزيد من الإجتهاد لعلّه في ذلك يكوّن له مكانة أفضل في عالم الكتابة والأبحاث.

ماجد كيالي

تــوضيــح

على ضوء رسالة الزميل ماجد كيالي، قامت هيئة تحرير «الهدف» بمراجعة وتدقيق الوثائق التي وضعها الزميل بين ايدينا، والمذكورة أرقامها في رسالته أعلاه، وتأكّدت من صحة ما جاء في رسالته، وفي الوقت الذي ليس بإمكان المجلة أن تدقق وتكتشف بشكلٍ مسبق مثل هذه الاعمال، لأنها تفترض الأمانة المهنية. وإذ ننوّه لهذه الواقعة، فإننا نأسف أشد الأسف لما جرى، ونتمنى على الزميل حسين معلوم أن يستجيب لطلب الزميل ماجد كيالي ويقدّم اعتذاره له وللمجلة.

«الهدف»

«أسرار العقل الصهيوني»

قراءة وتعليق

صادق أبو حامد

عنوان الكتاب: أسرار العقل الصهيوني

المؤلف: د. عبد الوهاب محمد المسيري

الناشر: دار الحسام ـ القاهرة

الطبعة الأولى ـ سبتمبر ١٩٩٦م

في واحد من أكثر كتبه تركيزاً واتساقاً، يقدم لنا (د. عبد الوهاب المسيري) جانباً جديداً من جوانب رؤيته التحليلية للصهيونية، لكنه في هذه المرة لايدقق في عناصر نشوئها وملابسات تطورها ـ كما فعل في «الإيديولوجية الصهيونية» مثلاً ـ بقدر ما يهتم بالإدراك الصهيوني، وعلاقته بتلك العناصر والملابسات.

يقدم المسيري لكتابه، بمداخلة طويلة يشرح فيها رؤيته لعلاقة الإدراك بالسلوك، فيؤكد تركيبية الإدراك الإنساني للظواهر المحيطة وكذلك تركيبية السلوك الإنساني، وانطلاقاً من هذه المقولة يسوّغ اهتمامه بالإدراك الإنساني كفاعل أساسي في المجتمع. ثم ينتقل إلى شرح التبعية الإدراكية للغرب (كتبعية عميقة كامنة تنصرف إلى أسلوب الحياة) ص[٩] ويقدم أمثلة عن ذلك منها ترجمتنا أعمال فرويد دون التساؤل عن نوع المجتمع الذي عاش فيه فرويد، ويرى أن تقصينا خفايا الأمور سيوصلنا إلى نتائج مختلفة، فقد وجد مثلاً أن أفكار فرويد وكافكا والفلسفة التفكيكية تدور جميعها، في إطار ميراث ديني يهودي يدعى (القبّالاه اللوريانية)ص[١٣]

ثم يذكر أمثلة تتعلق بالمصطلحات التي تُظهر هذه التبعية، كمصطلح (الصهيونية العالمية) و (معاداة السامية)، ويختتم بالتنويه لأهمية (الاستعارة والصورة) وعلاقتهما بالإدراك.

ثم يبحث المسيري (في الإدراك الصهيوني للعرب) فينطلق من حقيقة (اساسية) مفادها أن الفكرة الصهيونية (استمدت ملامحها الأساسية ، ثم مقومات وجودها، من الحضارة الغربية)، لذلك فقد اعتمدت دعايتها المتعلقة بالتفوق الحضاري والعرقي، ويبين كيف نظرت الصهيونية، ومنذ دعاتها الأول، إلى العربي كمتخلف بل و(عنصر منحط)، كما رأت فيه بعد ذلك (ممثلاً للاغيار)، إذ هو يمثل الأغيار كذئاب لطالما كانت تتربص (بالشعب المختار)، وينتقل هذا الإدراك إلى (تهميش العربي) بنفي أي صبغة قومية أو سياسية لثورات الفلسطينيين خاصة والعرب عامة، واعتبارها مجرد (غوغاء) يتلاعب بها (الإقطاعيون والأفندية)، ويصل الإدراك الصهيوني إلى ذروة تجريد الآخر من حقيقيته حين يتبنى مقولة (العربي الغائب)، ففلسطين (أرض بلا شعب) أو (بلد بلا سكان)، لهذا فهم يجعلون تاريخ فلسطين تاريخاً يهودياً وحسب، أما التواريخ الأخرى فما هي إلا أمور ثانوية، ويكمل المسيري هذه المقولات بمقولتين هامتين هما (اليهودي كعربي) و (العربي كيهودي)، فالأولى تمثل المرحلة التي يمكن النظر فيها إلى العربي [كرومانسي تحيط به غلالات أسطورية كثيفة] [٤٢]، وأما الثانية: فتتجلى في المقولات السابقة، أي التهميش والتخلف، وما هي إلا صفات اليهودي التي أطلقها المعادون لليهود في العالم الغربي.

ثم يُظهر الكاتب نماذج (الإستجابة الصهيونية للعربي الحقيقي)، فيرى أن حضور الفلسطيني بثوراته وإصراره وعناده، ووضوح التوجهات القومية العربية، فرضت على الإدراك الصهيوني صورة العربي الحقيقي، وكان لهذا الإدراك ثلاثة أنماط استجابة: أحدها أدرك جُرم الصهيونية، فعلاً من حيث أتى. والآخر بذل محاولات يائسة لإعادة صياغة المشروع الصهيوني بطريقة تستوعب وجود العربي الحقيقي وتأخذه في الحسبان)[56]، فتحول إلى الهامش. وثالث ـ يمثل الأكثرية ـ كان إدراكه للعربي الحقيقي يؤدي إلى مزيد من الشراسة الصهيونية.

أما عن (الإستجابة العربية) فقد أيقن العرب ـ ومنذ البدايات ـ أنه لايمكن التصالح مع مستوطن صهيوني يدرك الواقع بطريقة تنكر وجودهم.

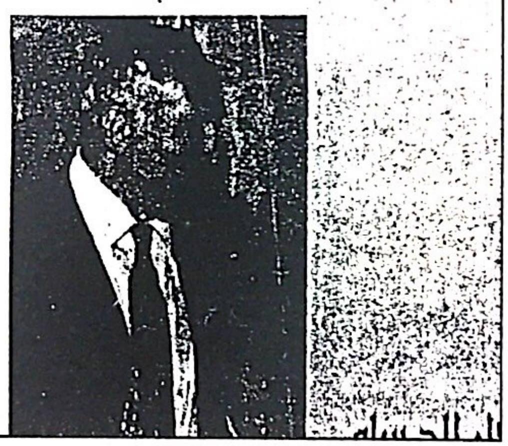
وفي حديثه عن (الإدراك الإسرائيلي للعرب) يؤكد استمرار المقولات السابقة، فلازال العربي (متخلفاً، وممثلاً للاغيار، وهامشياً، وغائباً) كما أن مقولة (العربي كيهودي) تحافظ على وجودها، والثبات ذاته لازال في إستجابة الإدراك الإسرائيلي للعربي الحقيقي، ويرى الكاتب أن الإدراك (الصهيوني/ الإسرائيلي) إنما يعاني قصوراً يمنعه من إستيعاب قضية مفادها أن (وجوده في فلسطين عدوان).

ويقدم الكاتب ثلاث حالات موجودة في الإدراك الإسرائيلي فيما يخص قضية الدولة الفلسطينية، فواحدة متشددة وأخرى تبدو معتدلة تشجع مبادرة السلام، ثالثة تبدو وكأنها نقيضة الأولى فهي تقبل بفكرة دولة فلسطينية بقيود محددة، لكن الحالات الثلاث تنطلق من مقدمات صهيونية واحدة، ويشير الكاتب إلى (خصوصية الإدراك الإسرائيلي) للعربي، إذ يقبل بمحاورته حين يكون هامشياً، ويستحيل أن يقبل ذلك حين يتبدى له بصورة (العربي الحقيقي).

بعد ذلك يدرس بتمعن ما خلّفته الإنتفاضة من آثار حقيقية في الإدراك الإسرائيلي، ويعمد للدخول في الإستعارات ويوسع إمكاناتها للتعبير عن تركيبية الإدراك الإسرائيلي للإنتفاضة، وخواء وتناقض خطابه الموجه ضدها.

ثم يناقش ظاهرة (اليهودي كعنصر نافع داخل الحضارة الغربية) اعتماداً على الدور الوظيفي الذي كان لليهود كأثرياء (تجار، مربين) في المجتمع الإقطاعي الأوربي، وهو ما فقدوه مع الإنقلاب الإقتصادي الرأسمالي. فأصبحوا (شخصيات هامشية غير نافعة، بل وضارة يجب التخلص منها) [١٢٠]، ولإستعادة هذا الدور النافع، قدمت

أسرار العقل الصهيوني



الصهيونية نفسها كحل يعيد الصفة الوظيفية لليهود لمصلحة المجتمع الغربي، وذلك بخلق (جيتو) استيطاني إحلالي في (ملتقى الطرق بين أوربا وآسيا وافريقيا).

وفي تحليله، يقدم نموذجين للحكم الذاتي أقامهما النازيون، هما: جيتو وارسو، ومستوطنة تيريس ينشتات النموذجية، وينوه إلى أن الصهيونية تحاول التعتيم على التجربتين كي لايظهر التشابه بين رؤية كل من النازية والصهيونية. وفي نهاية الفصل يقارن بين الحملات الصليبية والإستيطان الصهيوني من زوايا عدة، وهو أمر سبق وطرق بعدة أقلام.

ويخصص (د. المسيري) الفصل الأخير للحديث عن مقولات معاداة اليهود والتي لطالما استثمرتها الصهيونية عبر تاريخها، فيفكك ويركب ثلاث حالات هي (تهمة الدم، واقعة دريفوس، واقعة ليو فرانك)، إذ يُظهر أن الوقائع الثلاث صحيحة تاريخياً، لكن الصهيونية تخرجها من سياقها التاريخي، وبالتالي من ظروفها ودلالاتها التي تكشف عدم تمثيلها لحالة عداء لليهود، بل عداء لأفراد معينين لما يمثلونه بالبعد السياسي والطبقي.

كما ويقارن في هذا الفصل بين الصهيونية والرومانسية، لكنه لاينسى تحديد هذه المقارنة بقيود كثيرة كي لاتنسحب تقييماتنا للرومانسية على الصهيونية أو العكس، ومن ثم يختم الكاتب بحثه بما بدأه إذ يعرض (بعض الملاحظات المنهجية)، يحاول من خلالها دحض المناهج الأخرى أمام منهجه، ويقفل كتابه بعنوان أخير يعرض فيه إحدى نبوءاته التي تحققت - بخصوص الإنتفاضة - ويُرجع ذلك إلى المقدرة التي يتمتع بها منهجه.

الكتاب قيّم بلا أدنى ريب، وهو - كبقية كتب المسيري - يفتح آفاقاً جديدة ويوسع زوايا رؤية في الصراع العربي - الصهيوني، وما يشد الإنتباه أن الكاتب، ورغم معرفته واكتشافه للكثير من مساوئ الإدراك الصهيوني، بل وقناعته بمصيرية هذا الصراع، لايتردد بالدعوة إلى فتح الحوار بين الطرفين، بل وضرورته كحل وحيد للمشكلة.

وإذا كان لنا أن نؤكد فرادة الكتاب، فمن المهم الإشارة إلى بعض النقاط المُشكلة فيه:

لقد وجدنا المسيري يرفض ويسفه المناهج الأخرى وبالجملة دون أن يدعم رفضه وتسفيهه لهذه المناهج، بل إننا نعتقد أنه إنما كان يمارس نقداً سطحياً لها، ويظهر ذلك في رؤيته للنظرة المادية للتاريخ وكأنها تمارس تفسيراً ميكانيكياً للمجتمع أساسه الإقتصاد، والشيء ذاته نجده في تعريضه السريع لمنهج التحليل النفسي، وعن الأخير يذهلنا المسيري بنقده للفرويدية من خلال إرجاعها إلى ميراث يهودي، وبذلك ينتهي الأمر، دون شرح مغزى أو مبرر هذا الربط أو علاقته بالقيمة العلمية لإنجازات فرويد في هذا المضمار، وبنفس الأسلوب يطعن بكافكا والفلسفة التفكيكية، فجميع هؤلاء تشكل (القبّالاه اللوريانية) إطاراً معرفياً لهم، ولا أعتقد أن تحليلاً كهذا يمكن أن يوصف بالعلمية أو الموضوعية.

غير أن المسيري يبلغ ذروة إجحافه بحق النظريات والمناهج التي لايعتقد بها في موقعين:

الأول: في حديثه عن (الأدبيات العنصرية الغربية) ضد اليهود، والتي - كما يرى الكاتب - كان لها أصداء (في الأدبيات الماركسية، بما في ذلك أعمال ماركس نفسه) [١٢٠]، رغم أن ما قام به ماركس هو تحليل موقع الجماعات اليهودية الإقتصادي بين مرحلتين متباينتين هما الإقطاع والرأسمالية بأدوات المادية التاريخية، وهو ما اعتمده المسيري في تحليله، وليس هناك ما يتيح البت بتورطه في الدعاية المعادية لليهود، ولعله من المفيد التنويه إلى ان الطريقة ذاتها التي جعل بها المسيري مسيرة ماركس من دعاة معاداة اليهودية، استخدمها آخرون ليؤكدوا أنه مجرد يهودي، وربما ماسوني، يلعب دوراً مخططاً له - سلفاً - لزعزعة (الإستقرار العالمي).

أما الموقع الثاني فكان في باب (بعض الملاحظات المنهجية)، إذ يمسك الكاتب بالبنيوية ليسفّه أطروحاتها، وذلك بأن يضع حديثين نبويين شريفين، ويطبق في تفسيرهما أسلوبين تحليليين أحدهما يدعوه «مضموني» وآخر «بنيوي»، فيستخدم الأداتين كما يشاء وبأكثر الطرق بعداً عن التمكن، ليخرج بنتائج مفادها أن التحليلين - وبالتالي المنهجين - غير صالحين، وكما يبدو فموقف (د. المسيري) هذا ليس إلا استرسالاً لمقدمته التي أرجع فيها مقولة رولان بارت حول (لذة النص) [١٤] إلى الميراث اليهودي.

والواقع أن المسيري - كما يبدو - أكثر نجاحاً في تطبيق منهجه من التنظير له، فعلى صعيد التطبيق نجد كتابه تحفة معرفية في الجانب الذي يناقشه، بل إن هذا الكتاب يقدم، على الصعيد العملي، نماذج غاية في الفائدة للعرب - والفلسطينيين منهم بشكل خاص - وهم يجلسون على طاولة المفاوضات: من تقديم نماذج للحكم الذاتي موجودة في الإدراك الصهيوني، إلى شرح نماذج من استجاباتهم الإدراكية للحوار مع العرب والحرب معهم، وإلى غير ذلك من قضايا حساسة وحامية.

أخيراً نسجل استغرابنا من ابتعاد (المسيري) عن الخوض في فترة مفاوضات السلام واتفاقياته منذ مدريد وحتى الآن، على الرغم من تاريخ مقدمة الكتاب بالعام ١٩٩٦، ومن هنا نتساءل:

هل لهذا علاقة بموقف من المفاوضات لايريد الكاتب الإفصاح عنه..؟

أم هو انتظار لما ستنجلي عنه هذه المفاوضات؟....■■

مائة عام على انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول

الصهيونية تجدّد نفسها!

بمناسبة مرور مائة عام على انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، أقام منتدى غسان كنفاني الثقافي ندوة حوارية حول هذا الموضوع في ١٩٩٧/١٢/٢٣. أدار الندوة الزميل علي الكردي.

هنا، مداخلتان، واحدة للباحث نصر شمالي، وأخرى للباحث الدكتور أحمد برقاوي.



حرب مفتوحة وغزو مستمر
مداخلة نصر شمالي

في هذا العام ١٩٩٧ يكون قد مرّ قرن من الزمان على انعقاد المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول. ويكون قد مرّ خمسة وسبعون عاماً ونيف على انهيار الدولة العثمانية. ويكون قد مرّ نصف قرن تقريباً على قيام الكيان الصهيوني اليهودي في فلسطين العربية المحتلة. ويكون قد مرّ أربعون عاماً ونيف على حرب السويس، أو ما سمي بالعدوان الثلاثي على مصر. ويكون قد مر ثلاثون عاماً ونيف على حرب حزيران/يونيو التي شنها الكيان الصهيوني اليهودي ضد عدد من الدول العربية، إن لم نقل ضد الأمة العربية والإسلامية جمعاء.

إن هذه المحطات التاريخية لم تشكل المصائر الراهنة للاقطار العربية وحدها، وإنما هي، حقاً شكلت المصائر الراهنة لعدد كبير من الدول في عدد من القارات، بما فيها أوربا بالذات، ولما كان من الحمق، ومن ضعف الإدراك أن لانلتقط الصلة الحميمة التي تجمع بين هذه المحطات، والمسار التاريخي الواحد الذي يربط بينها، فإنه لمن الضروري استعراضها، وإن بإيجاز حيث عواقبها وعقابيلها الوخيمة هي التي مازلنا نعيشها ونعاني منها أفظع المعاناة في ايامنا هذه. إنها سلسلة واحدة مترابطة الحلقات، كل حلقة منها تستند إلى سابقتها وتنهض بلاحقتها، لتشكل جميعها حالة الحرب المفتوحة، ذات البعد الدولي، التي ما يكاد يخفت أوارها حتى يشتد.

بالنسبة للمحطة الأولى، وهي انعقاد المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول عام ١٨٩٧، فإن ذلك المؤتمر لم يكن سوى واحد من اجتماعات الحرب، فالإشتباك المسلح في حد ذاته ليس هو الحرب، وإنما هو ذروتها ومظهرها الأكثر حدة وقسوة، ولذلك نقول إن مؤتمر بال الصهيوني اليهودي كان شكلاً صارخاً من أشكال الحرب.

ـ لقد ظهرت المسألة اليهودية كمعضلة في أوربا وليس في غيرها. هي ظهرت في القرون الوسطى الأوربية وكنتاج للنظام الإقطاعي الأوربي، بينما لم تظهر مثل هذه المعضلة أبداً أبداً في ظلال النظام العربي الإسلامي العالمي وفي الدول العربية الإسلامية. ثم ظهرت الحركة الصهيونية في اوربا، وتحديداً في انجلترا، حيث بدأت كصهيونية غير يهودية،

وعندما اكتمل النظام الرأسمالي الأوربي ظهرت الحركة الصهيونية اليهودية وانعقد المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول. وبعد ذلك ظهر الكيان الصهيوني اليهودي في فلسطين العربية المحتلة، الذي هو نتاج الطور الإمبريالي الأعلى في تاريخ الاستعمار والرأسمالية. لقد انعقد المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول ١٨٩٧ في تلك اللحظة التاريخية التي أعلن فيها المؤرخون الأوربيون والأميركيون عن اكتمال الشكل الإمبريالي لبريطانيا وعن دخول الولايات المتحدة في طور الإمبريالية. لقد انعقد المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول في تلك اللحظة بالضبط، ليس قبلها وليس بعدها، ومتفقاً معها تماماً.

وعندما نستخدم تعبير الإمبريالي والإمبريالية، فمن البديهي أن لايغيب عن الذهن أن المعنى المقصود هو الإمبراطوري والإمبراطورية. والنظام الإمبراطوري، أو الإمبريالي، هو بالضبط النظام العبودي، أو الصهيوني، الذي يعطي جميع الحقوق لنفسه، بما فيها حق التصرف بالآخرين كما يشاء، إلى حدّ إبادتهم، بينما هو لا يعطي الآخرين أي حق على الإطلاق، إلا في الحدود التي تخدم مصالحه الوحشية.

وهكذا، فإن الصهيونية اليهودية، التي جسّدها مؤتمر بال، ليست سوى نتاج الصهيونية الأولى غير اليهودية، ونتاج العصر الأوربي الأميركي ونظامه الإحتكاري العبودي، الإمبراطوري أو الإمبريالي.

إن العصر الأوربي الأميركي، الذي ظهر قبل خمسة قرون، لم يكن مؤهلاً سوى للقتل وجمع المال. إن عقيدته الإمبراطورية، الإمبريالية، جعلته يفقد كل قيمة أخلاقية، ويقبل بمصير رهيب، موحش، لم يعد هو نفسه يتحكم فيه. فقبل ظهور هذا العصر كانت الإشتباكات المسلحة تخاض من أجل تحقيق السلام، أما اليوم فإن الإشتباكات المسلحة تنشب في نطاق الحرب الشاملة، ومن أجل الحرب التي أضفوا عليها طابع القدسية، وليست المهام المفتوحة المعطاة للكيان الصهيوني اليهودي في فلسطين العربية المحتلة سوى الدليل القاطع على ذلك. إن الأمر اليومي - حسب التعبير العسكري - يقول: اقتل باستمرار! إن هذا الأمر هو الشعار الخالد للحضارة الصناعية الأوربية الأميركية، التي تزدهر تجارتها وتتعاظم أرباحها من صناعة الجثث!

إذن، فمؤتمر بال الصهيوني اليهودي الأول لم يكن سوى شكل من أشكال إعلان الحرب، ولم يكن سوى مؤسسة من مؤسسات الحرب التي يقوم عليها النظام العالمي الأوربي الأميركي. أما أبرز مهامه فكانت الإستعداد للحظة إنهيار الدولة العثمانية، ومن ثم الإسهام الرئيسي في عملية وضع اليد على الجزء العربي من تركتها، وإن هذا هو جوهر وعين الذي مازلنا نعاني منه حتى يومنا هذا.

بالنسبة لظهور الكيان الصهيوني اليهودي، فإن المشكلة لم تبدأ بظهوره الرسمي، لقد كان الكيان المتوحش موجوداً منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، كان يتكون وينمو في رحم الإستعمار البريطاني لفلسطين. كان بيضة الأفعى الإنجليزية. ولم يكن لتأخير الإعلان عن قيامه من سبب سوى ضرورة الإنتظار حتى يستكمل شكله ويشتد عوده، فيخرج من البيضة الإنجليزية وتنتهي مرحلة الإحتضان، ويباشر مهامه التي خلقوه من أجلها بتوجيه من خالته الأميركية.

عندما أعلن عن قيام الكيان الصهيوني اليهودي، قبل نصف قرن من الزمان، كانت الأفعى الإنجليزية قد بدأت انكفاءها إلى وكرها الأصلي تاركة فلسطين للصهاينة اليهود، بينما ظهرت شقيقتها الأفعى الأميركية، على مسرح الأحداث الدولية، بإهابها المختلف وبأساليبها المختلفة.

كانت فلسطين قد غدت موطئ قدم رسمي، معترف به دولياً، لقطعان الإستيطان الفتاكة، الشرهة كخلايا السرطان. ولم تكن القضية بالطبع، قضية يهود اضطهدوا في أوربا، ويحتاجون إلى مأوى، وإنما هي كانت خطوة من خطا الحرب المفتوحة التي ما أن تحقق تقدماً ضد ضحاياها حتى تصبح أكثر استعداداً وضراوة لتحقيق المزيد والمزيد من الخطوات، دون أن تبدو لتقدمها أية نقطة نهائية وأي هدف نهائي.

وهكذا فإن من المؤكد أن بذور حرب عام ١٩٥٦ زرعت في تربة حرب عام ١٩٤٨، وأن بذور حرب عام ١٩٦٧ زرعت في تربة حرب عام ١٩٥٦، وأن بذور حرب عام ١٩٧٣ زرعت في تربة حرب عام ١٩٦٧، وبعد ذلك ينطبق القول على جميع الحروب التالية، المباشرة وغير المباشرة، المعلنة والمموهة، النارية وغير النارية، حيث لم يكن ضرورياً أن يظهر العدو الصهيوني الأميركي اليهودي طرفاً معلناً ومباشراً في أي اشتباك، وحيث ظهور الكيان الصهيوني اليهودي في فلسطين العربية المحتلة رسخ نمطاً من الكيانات المشابهة التي لم تعد تستطيع دفع عملية الصراع معه بأشكالها الضرورية وإلى نهاياتها القصوى دون أن تعرض نفسها، هي بالذات، للدمار والزوال ككيانات مصطنعة مثلما هو كيان مصطنع. وإنه لمأزق تاريخي حقيقي، حيث العرب، بالوضع الذي هم عليه اليوم، لايستطيعون أن يتحدوا ويتوحدوا جدياً دون زوال الكيان الصهيوني اليهودي، بينما لايزول هذا الكيان السرطاني دون أن يتحدوا ويتوحدوا جدياً. أما العقدة التي تحقق ثبات واستمرار هذا المأزق فهي طبيعة الأنظمة السائدة، ليس من الناحية السياسية فحسب وإنما من جميع النواحي.

ولذلك فإن إنطلاق الأمة على دروب الخلاص الحقيقي لايمكن أن يبدأ في ظل سيادة أنظمة لايزال الكثيرون يعولون عليها ويتطلعون إلى مبادراتها، لابصفتها أشخاصاً معينين،وإنما بصفتها أنماطاً من الإدارة والعلاقات، ولابوضعها الراهن في هذه المرحلة المحددة، وإنما بأوضاعها المختلفة في جميع المراحل.

باختصار، إن الخروج من المأزق الذي يشبه دائرة الشيطان يبدأ، وإن طرق الخلاص الحقيقي تبدأ، عندما يتحقق القطع البات مع شبكة النظام الدولي والعالمي، الإحتكاري الصهيوني والعبودي. إن التخبط في هذا المأزق يبدو جلياً منذ نهايات القرن الماضي، اي منذ فترة انعقاد المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول عام ١٨٩٧. فبينما كان اليهود يجنّدون لأخذ دورهم كمستوطنين قتلة بعد زوال الدولة العثمانية، كان العرب والأتراك، وغيرهم من شعوبنا الإسلامية المنكوبة، يعدّون لأخذ دورهم كضحايا. فقد حددت المركزية الأوربية الأميركية سلفاً من سيقوم بدور القتلة ومن سيقوم بدور الضحايا، من سينتصر دائماً ومن سينهزم دائماً. وكانت وسائلها لتحقيق ذلك كثيرة ومتشعبة ومعقدة، وكان أحدها وليس كلها بالنسبة للضحايا هو إقناعهم بالنموذج الأوربي الأميركي، بواسطة مثقفيهم خاصة، وجعلهم يرتبطون به في جميع مناحي الحياة، متوهمين أنهم يفعلون ذلك بإرادتهم المستقلة وبمحض إختيارهم الحر، بينما الواقع كان على النقيض من ذلك.

إنه قرن كامل من الزمان، من عام ١٨٩٧ وحتى عام ١٩٩٧، أوله مثل آخره بالنسبة للضحايا، الذين اعتقدوا بين مرحلة وأخرى أنهم يحققون بعض التقدم بينما هم كانوا دائماً يتراجعون. إنه قرن كامل من الزمان، لم تكن الأوضاع قبله أفضل، وإنما هي صارت بعده أسوأ، ليس من الناحية المادية وإنما من الناحية الإنسانية، وليس من حيث تفاقم المظالم والبؤس وإنما من حيث اضمحلال الحلم، وضعف الأمل. لقد كان قرناً خُلّبياً مخادعاً ظاهره التقدم الذي بدا كأنما هو في متناول اليد، وباطنه التقهقر والسم الزعاف.

ولم يكن انهيار الدولة العثمانية، في التحليل العميق والصحيح، سوى حدث يشبه حدث انهيار الدولة السوفياتية، مع فارق خلاصته أن الدولة العثمانية أرادت أن تجسد وتدافع عن قيم الماضي دون نجاح، بينما الدولة السوفياتية أرادت أن تجسد وتدافع عن قيم المستقبل دون نجاح أيضاً، ولذلك فإنها ليست مجرد مصادفة ان تسارع الحكومة السوفياتية بقيادة لينين إلى نشر الوثائق التي تفضح التآمر الأوربي الأميركي ضد الدولة العثمانية

وضد تركتها، وهي الحكومة التي نهضت في الفترة التاريخية ذاتها التي انهارت فيها الحكومة العثمانية. كذلك ليست مصادفة أن تتحول تركيا الكمالية، وهي بالطبع جزء من التركة العثمانية، إلى جبهة حرب دائمة ضد الإتحاد السوفياتي وضد العرب لصالح الصهاينة اليهود وغير اليهود من الأوربيين والأميركيين.

إن العدو يبقى مطمئناً، ومشاريعه تبقى ناجحة، طالما نحن نضع الجزء محل الكل، والثانوي محل الرئيسي، والآني محل التاريخي. إننا بفعل ذلك نصغر ونضمحل، حيث تنحدر المشكلة شيئاً فشيئاً، وكما يريد العدو من قضية إنسانية إلى مجرد قضية عربية ومن قضية عربية إلى مجرد قضية فلسطينية، ومن قضية فلسطينية إلى مجرد قضية ما سمي بالضفة والقطاع، ومن قضية ما سمي بالضفة والقطاع إلى مجرد قضية القدس، ومن قضية القدس إلى مجرد قضية جبل ابو غنيم، أو شارع الشهداء في الخليل، ومن قضية جبل وشارع إلى مجرد قضية بيت للسكن يباع لليهود.

علينا أن ننظر إلى العصر بكامله، وإلى النظام العالمي بكامله، وإلى القرن بكامله، وإلى النظام الدولي بكامله، وأن نحدد بوضوح وبدقة موقعنا فيه سلباً وإيجاباً، ومن ثم نقرر كيف يكون موقعنا في المستقبل إيجابياً لاسلبيا. إن مثل هذه النظرة هي التي تليق بأمة عظيمة كأمتنا العربية الإسلامية التي نحن على يقين من نهوضها وخلاصها، غير أننا نعاني ونتعذب بسبب المعوقات الذاتية التي قد تؤخر ذلك آجالاً طويلة، بكل ما يعنيه مثل هذا التأخير من عذابات وخسائر وتضحيات يمكن تفاديها.

مداخلة د. أحمد برقاوي
العلاقة بين الذات والآخر

في نقاش مشكلة لما تزل حاضرة ومؤثرة في عالمنا الراهن، عالمنا الضيق العربي، والحق أن الصهيونية بعد مائة عام من ولادة مؤتمرها الأول تفرض علينا دائماً اعادة النظر في شروط انتاجها وتطرح علينا السؤال الأخطر: كيف تأتى لإيديولوجيا هي أمشاج من أساطير مستندة إلى التوراة أن تنتصر؟! بمعنى كيف تأتى للمعقول أن يصبح واقعاً؟ هذه قضية على غاية كبيرة من الأهمية، إن التاريخ لايجري دائماً بشكل عقلاني بل إن اللاعقلاني هو الذي انتصر وإذا كان هذا المزاح اللاعقلاني الذي انتصر فعلينا أن نكون جديين تجاه اللاعقلاني أو اتجاه...

أن يمتلك أية قدرة صدامية قادرة على أن تلغي ما يمكن أن يفكر فيه الأوربي، النقطة الثالثة والأهم أن البنية العالمية آنذاك لإنتصار الإمبريالية كانت قادرة على التحكم بالعالم.

الآن - اسرائيل الدولة العنصرية الصهيونية - واقع يعيش بيننا فارضاً إرادته علينا، كيف ننظر إلى هذا الوجود الآن الذي تحقق على المستوى الإيديولوجي؟ أي ايديولوجيا مهما كانت فيها جوانب عقلانية أو لاعقلانية أسطورية أو واقعية لها عمر. الايديولوجيا تنهزم بانتصارها، أو تنهزم بطول الزمن الذي يمضي دون انتصارها.

الصهيونية: المرتكزات الأساسية /العودة - شعب الله المختار - العرق السامي - الخ/ الآن حشدت كل هذه (المفاهيم) من أجل تكون ايديولوجيا لخلق ما يمكن أن يسمى بالعصبية الإيديولوجية هي شكل من أشكال العصبية، نجحت الايديولوجيا بتشكيل العصبية باستنادها إلى الإرث اليهودي وهي بالأساس - أساس الإيديولوجيا الصهيونية - كما أراد لها زعماؤها أن تكون ايديولوجيا علمانية وليست دينية ولكن ما كان يمكن أن تكون هذه الإيديولوجية علمانية لأن عملية تكوين العصبية ضمن اليهود ما كان يمكن أن يستند إلا إلى الإرث التوراتي اليهودي، انتصرت الإيديولوجية ماذا بعد انتصارها (انتصرت الإيديولوجيا بمعنى تكونت الدولة العنصرية الإستيطانية الإجلائية في فلسطين) ترى هل يمكن أن تلعب الإيديولوجيا الصهيونية ذات الدور الذي لعبته في نهاية القرن التاسع عشر الآن أم لا؟ إذا قلنا أن الإيديولوجيا تنهزم بانتصارها فهذا يعني أن الإيديولوجيا الصهيونية يجب أن تعاني من مأزق اضمحلالها ويجب أن تطرح جملة من المسائل الإيديولوجية الجديدة بما يتلاءم مع واقعها الجديد وخاصة إذا أخذنا بعين الإعتبار أن الشرط التاريخي الذي ولدت فيه الصهيونية ليس هو بالضبط الشرط التاريخي الذي نحن عليه الآن لأن السؤال يقول: هل تحتاج الإمبريالية العالمية الآن لوجود دولة إسرائيل لتحقق مصالحها في المنطقة أم لا؟ البعض يعتقد أنه خاصة بعد حرب الخليج وبعد أخذ الولايات المتحدة زمام المبادرة لم يعد بالضرورة لهذه الإمبريالية أن تتكئ على دولة أخرى لتحقيق مصالحها وبالتالي دورها صار ضعيفاً بالقياس إلى الدور الذي مارسته في السابق ومن هذه الزاوية صارت الشروط العالمية أضعف بما لايقاس بالنسبة إلى دولة بالأساس هي غريبة عن المنطقة.

رأي آخر يقول أن التغيرات الحاصلة في المنطقة والتي تهيء للولايات المتحدة الأميركية بشكل خاص عنصر سياسة مطلقة اليد لاتعني اطلاقاً أن المنطقة العربية في المستقبل ستظل على هذا النحو وبالتالي لابد من الأخذ بعين الإعتبار أن الولايات المتحدة تعول على عنصر لايتغير يعني (مصر وكامب ديفيد والعلاقات الحسنة مع الولايات المتحدة من زاوية مستقبلية ليس بالضرورة أن تبقى على ماهي عليه لأن حصر وجود في ذاته بالمعنى الفلسفي للكلمة لاتحتاج إلى وجود آخر لكي توجد، فيما اسرائيل وجود بغيره وبالتالي نحن أمام واقعة لاسبيل لتغييرها في علاقتها بالإمبريالية الأميركية او بالغرب) ومن هنا فإن الحفاظ عليها يجب أن يستمر لأنها غير عرضة للتغيير في علاقتها بالإمبريالية العالمية وخاصة الأميركية قد يتغير دورها الآن وقد تتغير وظيفتها بنسبة كذا ولكن عملياً لايمكن أن تتغير، الآخر هذا يواجه نوعاً من ذات رافضة هي بالأساس (الذات/العرب) على مستوى الزمن (اسرائيل) حققت جملة من الإنتصارات العسكرية المتتالية ولكن إذا رصدنا طبيعة هذه الإنتصارات سنجد أنه ما من انتصار من هذه



الإنتصارات قد حل مأزق الوجود. في ٤٨ حققوا قيام الدولة علىجزء من فلسطين، في ٦٧ أخذوا كل فلسطين وجزءاً من أراض عربية في ٧٣ استطاعوا أن يبقوا، في ٨٢ أخذوا بيروت وخرجوا منها، الثورة الفلسطينية تحقق نوعاً من حضور للشعب الفلسطيني في المنطقة المحتلة، إذاً كل هذه العوامل (المظاهر) لاتوحي إطلاقاً بأن هذه الأشكال من الممارسة العنصرية الصهيونية المعززة امبريالياً قادرة على حل مشكلة المصير ومشكلة المصير بالنسبة إلى اليهود في فلسطين واحدة من أعقد المشكلات التي تواجهها جماعة من الناس والسبب أن هذا الكيان المصطنع يواجه عملياً جملة من العوامل النابذة له، والعوامل النابذة له متعددة عوامل قومية تاريخية لغوية جغرافية وعوامل داعية ايضاً إرادياً لكي يغدو هذا المصير واقعاً لاسبيل إلى التفكير به يجب قبل كل شيء اعتراف الآخر (نحن الآن نقوم بدور الآخر بالنسبة له) يجب اعتراف الآخر بوجوده ولكن بما أن الآخر هذا غير مستقر، بما أن الذي سيتخذ قرار الإعتراف بفعل عوامل متعددة ليس بالضرورة هو الباقي فإن عنصر الشك حتى بالآخر الذي يطلب منه الإعتراف قائم قائم بالضرورة. هنا سيواجه الصهيوني اليهودي مأزقه الشديد ـ ما العمل؟ في ظل هذه الظروف وفي ظل هذا التالي، لاسيما أن فلسطين التي هي في الإيديولوجيا الصهيونية الأرض الموعودة التوراتية تنطوي الآن على نصف أو أقل من النصف من الفلسطينيين (هناك مليون فلسطيني داخل فلسطين ٤٨، ومليونا فلسطيني في فلسطين ٦٧، إلى جانب ٣-٤ ملايين فلسطيني في الخارج) فكرة الأرض الموعودة إذاً على رغم كل ما جرى تبدو وهماً من الأوهام لاسيما إذا أخذنا بعين الإعتبار فكرة الزمن ـ لمن يعمل الزمن؟ ـ أمام هذا المأزق الشديد أنا أرى أن المجتمع الصهيوني يعاني من أشكال متعددة من وعي مصيره، أحب أن أضيف هنا من الصعب أن ننظر إلى أي مجتمع من المجتمعات إلى أي جماعة من الجماعات على أنها جوهر قائم بذاته وهوية مطلقة أرى أن كل جماعة بالضرورة تنطوي على الإختلاف وفي فلسطين هناك اختلاف، لكي أعين المسألة بل إن المسألة تتعين أكثر في نمطين من التفكير يبدوان للوهلة الأولى متشابهين شمعون بيريز ومشروع الشرق الأوسط الجديد، نتنياهو ومكان تحت الشمس، نحن أمام نصين لزعيمين صهيونيين ينتميان إلى الحركة الصهيونية ذاتها، ليس هنا من هو أقل صهيونية وكلاهما يفكر بالمصير وأحب أن أضيف أن هذه الأزمة أزمة المصير التي تعتمل داخل هذا الكيان ليست مسألة موعى بها على نحو واضح من قبلنا (نحن الآن الذين نشكل



آخر بالنسبة له) بل إن أزمتنا تحول دون استغلال هذه الأزمة التي تعتمل داخل الكيان الصهيوني العنصري، ما هي الفكرة الأساسية الصهيونية الجديدة ـ إن صح التعبير ـ في كتاب شمعون بيريز، دعكم من مشكلة الشرق الأوسط الجديد وما شابه ذلك والتي هي أضعف الأفكار في كتاب شمعون بيريز ـ الفكرة الأساسية عند شمعون بيريز تقوم على مايلي: نحن عرضة لتغيرات عالمية كثيرة ولتغيرات عربية كثيرة ولتغيرات في وعي الشعب الفلسطيني كثيرة وبالتالي هذه العوامل تفرض علينا أن نفكر بمستقبل دولتنا (تعود لبيريز) في ظل هذه التغيرات، كيف يمكن الحيلولة دون أن تحصل هذه التغيرات ونحن غير مستعدين لها. هذه هي الفكرة الأساسية، يقول بيريز إذا كانت حروبنا المتعددة لم تستطع أن تحقق ما نصبو إليه وهذه وقائع، عندما تقول غولدا مائير بعد الـ ٦٧ أنها لاتعرف ما إذا كان هناك شعب فلسطيني ـ أصلاً هي لاتعرف إذا ما كان هناك شعب فلسطيني أم لا ما هذه الكذبة، بين هذا التصريح وبين الإعتراف بالشعب الفلسطيني هناك درجة من تطور مستوى الوعي بالقضية ليست مسألة زائفة أي أن التغيرات الحاصلة في الواقع هي التي فرضت على اليهودي في النهاية أن يعترف، والفلسطيني ليس بحاجة لمثل هذا الإعتراف بالضرورة، أنا الآن أحلل طبيعة المسألة بالنسبة لليهودي طالما أن القضية أصبحت في وضعها الراهن شعباً فلسطينياً يمتلك إرادة من أجل أن يحقق ولو جزء من أهدافه بما أن اسرائيل في وضع عالمي لايسمح لها بأن تعيش نفس اللحظة التي عاشتها في بداية تأسيسها وما بعد ذلك بقليل وبما أن الحروب التي طرأت على المنطقة من حرب ٤٨ إلى ٦٧ إلى..... الخ لم تستطع أن تحقق كل اهدافنا فإذن يجب أن نبحث عن وسيلة أخرى لتحقيق مصيرنا النهائي في هذه المنطقة هذه الوسيلة الأخرى مرتبطة بعنصرين: الأول قوة اسرائيل ـ يجب أن تبقى إسرائيل قوية لذلك يقول بيريز لقد صنعت اسرائيل ديمونة ودرأت عملية إبادتها وو...الخ ـ الآن إلى السلام ـ السلام بهذا المعنى (القوة هنا فرضت وجود اسرائيل وهذه القوة يجب أن تفرض الإعتراف بها فلسطينياً وعربياً، للإعتراف بها فلسطينياً وعربياً المناخ مهيء، فيجب أن نطرح مشروعاً للمنطقة يتجاوز النزعة القومية العدائية لإسرائيل والغرب، ثم النزعة الإسلامية التي يسميها الأصولية حيث يجب ان يتحد جميع العرب واليهود في مواجهة هذا الخطر القادم الذي هو خطر الأصولية لكي يتحقق ذلك لابد من إشاعة ما يسميه هو الديمقراطية. أصلاً الديمقراطية من زاوية نظره في هذه المنطقة هي مواجهة الحركة الأصولية الإسلامية ليس إلا. لابد من وضع اسرائيل في وضع طبيعي داخل المنطقة بحيث تغدو جزءاً من هوية المنطقة الشرق اوسطية وكلمة الشرق أوسطية تشير إلى نزع هوية المنطقة بشكل عام لأنه الشرق الأوسط إضافة إلى إيران وتركيا وما شابه ذلك، هذه الطريقة في التفكير هي نوع من صهيونية مرتبطة بمواجهة المستجدات التي حصلت في العالم وفي الوطن العربي بشكل أساس.

نتنياهو في مكان تحت الشمس لديه زاوية رؤية أخرى للمسألة وهي من زاوية جد منطقية (بالمناسبة من زاوية مجردة) فيها كثير من الصحة بالنسبة له لا بالنسبة لنا، تقوم الفكرة على أساس أن اسرائيل وجدت بالقوة ووجدت أنفاً عن رفض العرب لها والعرب سيظلون يرفضون اسرائيل إلى ماشاء.. وبالتالي ليس هناك إطلاقاً أي إمكانية للصلح مع العرب، يذكر نتنياهو في كتابه الحادثة التالية ليدلل على عمق العداء العربي للصهيونية ولليهودي ـ

يقول: كنت ماراً في خان يونس فالتقيت بكهل وسألته: - من أي البلاد أنت؟، قال الكهل: - من المجدل، وكان إلى جانبه حفيده- وحفيدك؟ قال- من المجدل، يقول اعتقدت أنه سيقول أنه من اسرائيل، قال له نتنياهو أتمنى أن يسود السلام وأنا آتي إلى هنا بسلام وأنت تأتي إلى المجدل بسلام، فقال له الكهل:- لا أنا أذهب إلى المجدل وأنت تذهب إلى بولونيا.

هذه الحادثة ذات الدلالة بالنسبة إلى صهيوني يعيش أزمة المصير وأنا أصر على هذه القضية ذات دلالة كبيرة من هنا فإن السلام مع العرب مستحيل من وجهة نظره - العرب لن يرضوا بنا إلا إذا كنا قادرين على فرض هذا الرضى بالقوة، لاعبر أشكال من السلام تودي (بدولتنا) الصهيونية، بين هاتين النظرتين هناك فرق في نظرتهم إلى المصير، الآن نحن في وضع آخر ننظر إلى ما يجري داخل هذا الكيان، هناك من يعتقد أن أي سلام مع هذه الدولة حتى ولو جاء بأرباح ضئيلة هو للمستقبل أمر مفيد من زاوية أنه على الأقل يلغي أساً من أسس الحركة الصهيونية وهي التوسع وأساً آخر هي أن فلسطين كلها لليهود، هناك من يعتقد - ولن أتخذ موقفاً حيادياً ولكن أعرض المعتقدات - أن السلام ممكن فيما لو طبقت اسرائيل كل قرارات الأمم المتحدة وما شابه ذلك وبالتالي يمكن أن نتعايش في المنطقة دونما حروب اسرائيل هي واقع ولاسبيل إلى تغييره، هناك من يعتقد أن مستقبل السلام ليس بالضرورة لصالح اسرائيل فهي محشورة في بقعة صغيرة من الأرض والحديث عن هيمنتها الإقتصادية شكل من أشكال الكذب، ليست هناك من هيمنة اقتصادية وبالتالي مع مرور الزمن ستمتص المنطقة هؤلاء بزوال الدولة أو عدمه ولكن يصبحون كأقلية من الأقليات المنتشرة في عالمنا العربي هناك من يعتقد أن أي سلام مع اسرائيل يعني الإقرار بالأمر الواقع واستمرارها إلى ما لانهاية وحقنها بعوامل قوة جديدة وخاصة القوة الإقتصادية لأن اسرائيل تمتلك تقنية عالية وتمتلك صناعات الكترونية واقتصاداً ودعماً عالمياً وبالتالي إن السلام مع اسرائيل هو سلام الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة وبالتالي لاسبيل إلا إلى زوال هذه الدولة بالعمل العسكري المسلح وما شابه ذلك، الآن لن أقف حيادياً تجاه هذه القضايا، قبل أن أجيب على ماهي الإحتمالات المكنة أحب أن أشير ما هي الإحتمالات المكنة عملياً من وجهة نظر الآخر (الآن الآخر هو اسرائيل) على المستوى الفلسطيني الإحتمالات المكنة بالنسبة لهم هي التالي:

- إما ضم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى اسرائيل ضماً كاملاً لكن هذا الإحتمال قد يجعل من اسرائيل دولة ثنائية القومية فتفقد الدولة اليهودية طابعها اليهودي الصرف وبالتالي هو إمكانية خطرة من وجهة نظر صهيونية.

- الإمكانية الثانية: قيام دولة فلسطينية إلى جانب الدولة اليهودية ولكن خطر قيام دولة فلسطينية قد يكون في المستقبل القريب أو البعيد قادم من هذه الدولة التي قد لاترى حرجاً في لحظة من اللحظات بالمطالبة بكل فلسطين فإذاً هذا الخيار يكون صعباً من أن هناك من يفكر على هذا النحو.

- في خيار الغير ممكن هي طرد الفلسطينيين سواء في ٤٨-٦٧ وهذا أصبح خياراً مستحيلاً.

- الخيار الرابع: أنه لابد من بقاء هذه المنطقة التي احتلت عام ٦٧ من فلسطين تحت السيطرة الإسرائيلية ولكن بقاءها تحت السيطرة الإسرائيلية سيولد اشكالاً متعددة من المقاومةعلى شاكلة الإنتفاضة وما هو أشد من الإنتفاضة إذاً أيضاً هو خيار صعب.

عندما يصل عدوك إلى مازق خيارات ولايستطيع أن يختار واحداً منها فهو إذاً يعاني من مشكلة كبيرة. الآن نحن ما موقفنا (نحن العرب) ما موقفنا من هذه الخيارات المتعددة سواءً كانت خيارات السلام التي تحدثنا عنها أو هذه الخيارات التي يتحدث عنها العدو، نحن لسنا اطلاقاً الآن نتحدث عن اللحظة الراهنة - نحن لسنا اطلاقاً في مرحلة نهوض سياسي تقني اقتصادي عسكري يسمح لنا بفرض ما نريد على اسرائيل، بالعكس تجري في ظل غياب تكافؤ القوى على الرغم أنه على المستوى التاريخي تكافؤ القوى لصالح العرب وليس لصالح اسرائيل، صهيونياً من زاوية صهيونية بيريزية (إن صح التعبير) طالما أن العرب في أسوأ لحظات وجودهم القومي وفي أضعف حلقات تطورهم التاريخي فالسلام ممكن معهم، فيجب إذاً اقتناص هذه اللحظة التاريخية، بما أن عملية السلام تجري في ظل غياب تكافؤ القوى فإذاً بالضرورة سيكون سلاماً بختم اسرائيلي هذا قولاً واحداً، هنا تطرح نظرية الإرجاء إن صح التعبير إذا فلنرجئ أي حل سلمي إلى حين توافر القوى، لكن المشكلة أننا لسنا نحن الوحيدين الذين نقرر يجب أن نفعل هذا أو لا نفعل ذاك في ظل شروط عربية وعالمية ورسمية، لكن وجهة نظري أن أي كلام الآن في ظل توازن القوى هذا لن يكون إطلاقاً في مصلحة العرب، ثم هل نرجئ المسألة لوقت آخر لنراهن على الزمن أم لا؟ (سئل سارتر مرة لماذا لاتثق بالشيوعين (كان في الحزب الشيوعي ثم خرج منه) لماذا لاتثق بهم في المستقبل وبالطبقة العاملة، قال: أنا أثق بهم الآن، لكن ما الذي يدريني غداً ما الذي سيكونون عليه، لماذا تطلبون مني الثقة بهؤلاء بعد خمسين عاماً أنا لاأعرف البشر أحراراً) وأنا من وجهة نظري اقول أنا لاأدري ما الذي بعد خمسين عاماً سيصير فلذلك فكرة الإرجاء يجب أن تتحدد في إطار عمل آني للمسألة وليس إرجاءها.

لايكفي لقائل أن يقول في أوساط فلسطينية يجب ان نؤجل الحل والمعركة إلى مرحلة نكون معها قادرين على الفاعلية، السؤال يجب أن يطرح على نحو آخر يجب أن نغير الواقع لمعركة قادمة وإلا نصبح فقط مفعمين بالآمال الغير فاعلة التي لاتدعمها فاعلية انسانية، من هذه الزاوية من وجهة نظري الكفاح الوطني الفلسطيني مستعر في الداخل على الرغم مما يبدو في الظاهر على أنه هادئ، هناك فقدان الأمل بما يجري الآن وهذا الفقدان ينطوي على أمل بما يجب أن يكون وليس بما هو كائن، فيجب إذاً أن نعول على هذه المسألة كثيراً وقد يطرح السؤال الأخطر هل نحن مع حل سلمي مع اليهود أم لسنا مع حل سلمي، الطرف الفلسطيني متنوع في الإجابة على هذا السؤال، بعضهم يرى أن التمرحل في الحل هو لصالح الشعب الفلسطيني، على الأقل يأخذ الشعب الفلسطيني هوية - لكن هذه الهوية ذاتها المتعينة في دولة فلسطينية غير ممكنة في ظل توازن القوى الراهن، يجب ألا نعول على كرم عدونا، المفارقة الكبرى أن بعض الفلسطينيين يعود على الطرف الإسرائيلي في منحه ما يشاء (ما يشاء هولا ثمن) عملية السلم هي عملية صراعية في جوهرها وليست عملية حوار بين اثنين غير متكافئين، إذا لم نخلق هذه الحركة التي يمكن أن تبرز تكافؤنا ومن وجهة نظري إذا لم نعمق مازق فكرة المصير عند اليهود لن يغدو سلاماً يعطي للفلسطينين اي حق من حقوقهم، السلام إذاً بهذا المعنى على المستوى التاريخي إذا ما تحقق على هذا الأساس قد يغدو عامل إضعاف بالنسبة إلى الدولة العنصرية الصهيونية وليس عامل قوة ولهذا الحركة الصهيونية التي أصبحت توراتية تقريباً بكاملها هي ترفض أي شكل من أشكال السلام الذي يعطي الشعب الفلسطيني أي حق من حقوقه، ألسنا أمام مفارقة إذاً قد لاأجد نفسي قادراً على اعطاء إجابة حاسمة في المسألة أقدم الآن معضلات المسألة تناقضاتها، لماذا يرفض الصهيوني دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة والإنسحاب من هذه المنطقة بما فيها المستعمرات وقيام دولة فلسطينية وعاصمتها القدس، لماذا يرفض يجب أن أفهم لماذا يرفض، ومع ذلك هذا الرفض الصهيوني يقابله على نفس المستوى رفض فلسطيني، أين هو التناقض إذاً؟ التناقض قائم بين حركة صهيونية تعتبر كل فلسطين ملكاً لها، وحركة فلسطينية تعتبر كل فلسطين ملكاً لها، على مستوى الحق التاريخي ليست المعركة على مستوى حق تاريخي هذه كذبة كبرى لأن الحق التاريخي للفلسطينيين ويجب ألا نجادل في التاريخ، هذه مصيدة أوقعنا بها الصهيونيون من أجل ان تبدو المسألة...■■

قضايا ثقافية

أوقفوا.. مذبحة الجزائر

الصرخة التي أطلقها «ملحق النهار الثقافي» في عدده الخاص رقم /٣١٠/ للخروج عن الصمت، والإلتفات لما يجري في الجزائر من مجازر دموية فاقت بوحشيتها كل التصوّرات الممكنة، هي أكثر من مجرد صرخة إعلامية غايتها تسليط الضوء على ما يجري في هذا البلد العربي الذي أوغل في الانتحار على مرأى من عيوننا جميعاً، دون أن نحرّك ساكناً قولاً أو فعلاً.

إنها صفعة إدانة صارخة على وجه كل من يتشدّق بالإسلام والعروبة، والديمقراطية، والأخوّة، والإنسانية، ولا يفعل أي شيء... أي شيء لوقف المجزرة التي امتدت على مساحة هذا الوطن الجريح الغارق في مدنه وأريافه وجباله ووديانه وسواحله بدماء الأطفال والنساء والأبرياء العزّل، الذين لا يقوون إلاّ على انتظار موتهم القادم باستسلام قدري، مسكون برعب مقيم استوطن النفوس والعقول، وكأن لا رادّ له بعد أن فشلت، أو عجزت كل المحاولات في وضع حدٍ لهذا الجنون المخيف.

السؤال الجارح الذي تطرحه مأساة الجزائر هو: ما سرّ هذا الصمت العربي، الذي بات يضنّ بالكلام، بعد أن ضن بالأفعال؟!

وهل وصلت اللامبالاة في عالمنا العربي إلى حدود التبكّم والعجز المطلق؟!

ما هذا البلاء الذي أحاق بالأمة فشلّ قدراتها، وتركها مسربلةً بعارها وفشلها؟!

هل في الأمر تواطؤ ضمني، أوصلنا إلى هذا الصمت المريب الذي بتنا معه نقفز فوق الحقائق الفاقعة وكأن رائحة الجريمة لا تزكم أنوفنا؟!

لا أحد يريد الحقيقة، ولا أحد يريد أن تشير بأصابع الاتهام الى أسبابها ومسبّبيها. لكن خيط الدم يصل الجزائر بالعراق مروراً بالسودان ولبنان وفلسطين. خيط الدم ينثال ويتطاول، لكأن الموت بهذه الطريقة قدرنا الذي لا مفرّ منه!.

إنه اللامعقول الذي ينهش جسد هذه الأمة ويهدّ مصير وجودها.

رغم هذه الصورة المأساوية القاتمة، نضم صوتنا الى صوت «ملحق النهار» ونصرخ من أجل الجزائر. «أيها الناس أوقفوا المذبحة، وتعالوا ننشل لغتنا العربية من دمنا، الذي يكاد يمحو أحرفها» ■■

الهدف الثقافي

حلقة (٢)

مفهوم الرمز الديناميكي وتجليه في الشعر الفلسطيني الحديث
(محمود درويش في الشعر الفلسطيني نموذجاً)

محمد جمال باروت*

تشكل «الأرض» رمزاً مشتركاً تلتقي فيه وتتشابك كل رموز الشعر الفلسطيني المعاصر. وقد أنتج هذا الشعر معجماً شعرياً خاصاً بالأرض، شكل نوعاً من العملة السيميائية أو الرمزية يتداولها الشعر الفلسطيني المعاصر، ويستهلكها إلى الدرجة التي بات يمكننا فيها معرفة القصيدة الفلسطينية من تداولها لهذه الرموز. وإن كان قاموس الأرض مثل: الأرض والتراب والشجر والحجر والصخر والبرتقال يتواتر بصورة دائمة في الشعر الفلسطيني فإن أبا سلمى «عبد الكريم الكرمي» كان أول من أكد عليه واستخدمه بصورة متواترة في شعره وطوّر منها رمزه الدال على الحبيبة - الأرض، الذي التقطه شعراء المقاومة وجعلوه رمزاً مركزياً واستعارة كبرى يدور حولها شعرهم كله، فالأرض التي تتمرأى في أشكال عديدة وتأخذ صورتها في مرآة الذات الشاعرة والذات الجماعية أيضاً تصبح ضمن تجربة الشعر الفلسطيني موضوعاً للتعبير ووسيلة للتعبير أيضاً. انها النقطة المحورية التي يدور حولها الشعر والبؤرة الأساسية التي تنداح منها التفاعيل[13].

غير أننا إذا ما ميزنا بلغة ادمون ولسون[14] بين رموز «الرمزية» وتعريف الرموز بمعناها المألوف، فإنه يمكننا القول إن استخدام الشعر الفلسطيني - في المخطط العريض للصورة - للرموز هو من نوع الاستخدام الثاني المألوف، التقليدي والنطقي والمحدد، الذي يرمز لـ«معنى» محدد مرتبط بشيء وليس لـ«أثر دلالي». فقد غلب على هذا الاستخدام ما يسميه مالارميه بـ«تسمية الشيء» مما يفقد الرمز طاقة «الغموض والسر» و«الخلق». فكان حضور الرمز على العموم خارجياً وتقليدياً رغم كل شحنته الغنائية المتفجعة التي تجد منابعها في محنة الشعب الفلسطيني، وميل شعراء المقاومة نتيجة ذلك، وتحت تأثير وهم التوصيل وانتاج أثر انفعالي مباشر بما يكتبونه، إلى تغليب الفعالية على الجمالية، أو إلى إبراز الوظيفة التحريضية التعبوية على حساب طبيعة الشعر.

كان محمود درويش أهم شاعر فلسطيني على الاطلاق تخطى هذا الاستخدام المألوف، التقليدي والنطقي والمحدد وشبه الخارجي للرمز، إلى اختبار ديناميكي له، يكون فيه رمزاً ديناميكياً مستوعباً «الرمزية» فيما يتجاوزها في آن، وهو ما تعبّر عنه تجربته بعد خروجه من الأرض المحتلة عام ١٩٧١، والتي ارتبطت على نحو محدد باختبار قدرات الرمز الديناميكي وطاقاته الشعرية الخالقة، فما هو الرمز الديناميكي؟ وأين تكمن خصوصية اختبار محمود درويش له؟ وبأي معنى يستوعب محمود درويش الرمزية فيما يتجاوزها في آن؟.

يختلف الرمز الديناميكي Syrnbole dynamique كلياً عن المفهوم التقليدي المألوف للرمز. فإذا كان الرمز الديناميكي يرتبط بالخلق، بما يحتمله ذلك من القوة الخالقة للكلمة الشعرية أو «اللوغس»، وبشكل تضطلع فيه بوظائف الكلمة الالهية الخالقة، فإن الرمز التقليدي المألوف يرتبط بالتعبير. يرتبط الرمز الديناميكي بالرؤيا بقدر ما يرتبط الرمز التقليدي بالموضوع، ويرتبط الرمز الديناميكي بارادة متيافيزيئية لخلق عالم جديد بقدر ما يرتبط الرمز التقليدي بمشابهة «ايقونية» للعالم المحقق.

فليس «الرمز الديناميكي» بالتعريف المنمذج كلمة ولا فكرة ولا صورة، بل حركة خالقة أطرافها هي الحلم والذكرى والاحساس والمماثلة[15]. فما يسميه الرمزيون رمزاً ديناميكياً هو نفسه ما يسميه الفلاسفة بالمماثلة، وكما يقود الرمز إلى الشعر، مكتشفاً العلاقة بين شيء وآخر، كذلك تقود المماثلة إلى التيولوجيا مكتشفة العلاقة بين الأشياء والله. وليست المماثلة بالمعنى الميتافيزيائي العميق سوى بعد بنيوي من أبعاد الرمز الديناميكي، أو آلية محايثة له. فالرمز الديناميكي بكلمة موجزة هو رمز رؤيوي بالضرورة.

يستوعب محمود درويش الفهم «الرمزي» المدرسي المنمذج للرمز الديناميكي ويتخطاه في آن. فإذا كان الرمز الديناميكي في صفائه الرمزي المنمذج كما تعبر عن ذلك قصيدة «هيرودياد» الشهيرة لمالارميه، يخلق عوالم «نرجسية» و«ملائكية» و«كهانية» خفية ومغلقة لا تحيل إلا إلى نفسها، فإن محمود درويش يستنفد طاقات هذا الرمز ولكن في اطار تحويله إلى رمز أولي أو أصلي للذات الجماعية أي لشعبه، الأمر الذي يجعلنا نتأمل استخدامه للرمز الديناميكي من وجهة نظر ميزاته القومية التي منحت هذا الرمز نبرة خاصة، وهو في ذلك يشبه كثيراً لحظة من لحظات الشاعر الرمزي الانكليزي ييتس، الذي عاد إلى الأساطير الايرلندية وأراد أن يكون هو لحظة ما شاعر قومه.

يشحن محمود درويش رموزه الديناميكية بالأنماط الأصلية أو الأولية للاشعور الجمعي الفلسطيني، وقد سمي ذلك لدى شعراء القصيدة - الرؤيا العرب منذ منتصف الخمسينيات بالايحاء الأسطوري كما يعبر يوسف الخال وبالرمز الكلي كما يعبر خليل حاوي وبالرمز التموزي كما يعبر جبرا ابراهيم جبرا. فتتجلى خصوصية اختبار محمود درويش للرمز الديناميكي في تحويله إياه إلى نمط أصلي، يعود بالذات الوطنية الجمعية إلى منابعها الكنعانية الأولى، وإذا كنا في نموذج الرمز الديناميكي المالارمي مثلاً أمام نموذج الكاهن المنعزل عن المجتمع فإننا في استخدام درويش لهذا الرمز إزاء نموذج الشاعر - النبي الذي يختزن الروح الجماعية لقومه، ويرتاد آفاقها ويستشرف مصائرها، من داخل المعاناة الكيانية لوجودها. ومن هنا «يُكَنْعِن» محمود درويش قومه بقدر ما «يُفَلْسِطِن» كنعان. فميثيولوجياه الشعرية الكنعانية المفلسطنة هي ميثيولوجيا قومية - أو وطنية بقدر ما هي ميثيولوجيا كونية وشاملة، وهذا ما أسميناه بلغة ولسون بالميزات القومية لرمزه الديناميكي.

في «قصيدة الأرض» يؤسطر محمود درويش «يوم الأرض» الفلسطيني، الذي اندلع في الثلاثين من آذار ١٩٧٦ انطلاقاً من الجليل وعم الضفة الغربية، وشهد أسخن لحظاته في قرية «سخنين» الجليلية الفلسطينية، التي اختارت إبان السقوط النهائي للجليل الأعلى في ٢٩-٣٠ ت١ ١٩٤٨ التشبث بجذورها والبقاء في الجليل، رغم تنكيل أعدائها وحماتها بها. ويدل محمود درويش على هذا اليوم بـ«سنة الانتفاضة».

يؤسطر درويش الأرض في رمز ديناميكي محوّل إلى رمز أصلي بقدر ما يفلسطن الأسطورة. اننا أمام كنعنة الفلسطيني المعاصر وفلسطنة للنموذج الأصلي الكنعاني.







فإذا كان الرمز كما عرفته المدرسة الرمزية، اكتشافاً لروح الأشياء، وبعثاً للروحي اللامحدود اللانهائي في الحسي المحدود، فإن هذه الأسطورة الدرويشية للأرض شكل مميز من أشكال الرمز الديناميكي، يشكل فيه «يوم الأرض» «تجلياً» معاصراً لفعل أولي كنعاني قيومي قديم، قدم جذور الفلسطينيين في أرضهم، وهاجع في لاشعورهم الجمعي الذي هو فعل الانبعاث. من هنا يحضر «يوم الأرض» كـ«تجلٍ» لنمط أصلي أو أولي لفلسطين.

فأسطورة الأرض هنا، هي على وجه الدقة اكتشاف شعري لميتافيزياء الحسي. وتشكل هذه الميتافيزياء المعنى الرمزي العميق الثاوي في الحسي. فتحضر الأرض حضوراً حسياً لكن مشبعاً بالقداسة، وتتحول إلى رمز مشبع بالوجود ومشع به، فيشكل وجودها ذاته تجلياً للقداسة، يتماهى بها الكائن المنبعث. ويغدو التراب امتداداً للروح، وتنهض أنطولوجية حلولية ما بين الأنا الشعرية والأرض، وتمتد الذات في الأرض في الوقت الذي تنتشر فيه الأرض في الذات. فحسب درويش: «الأرض ليست قطعة من تراب، بل هي أكثر من ذلك: وعاء لهوية وجلد لروح».

ان آلية الأسطورة الشعرية هذه للأرض على وجه الدقة آلية رمزية ديناميكية. فليست الأرض هنا كلمة أو صورة أو فكرة خاضعة للتمركز المنطقي أي للمعنى بل هي آلية سيميولوجية تحول الأرض إلى كوكبة من الدلالات. فإذا كان المعنى هو ما يفهم من ظاهر اللفظ وهو ما يساوي بلغة بارت الدلالة الصريحة، فإن الدلالة هي ما يفضي إليه اللفظ من اشارات أخرى، أي معنى المعنى بلغة الجرجاني، أو الدلالة الضمنية بلغة بارت.

فالآلية الرمزية الديناميكية للأرض هي تبعاً لذلك، آلية تحويل الدلالة الصريحة أو المعنى إلى دلالة ضمنية أو إلى معنى المعنى، أي تحويل المعنى إلى دلالة. فلا تنقل «الأرض» هنا في النسيج النصي للقصيدة معنى مسبقاً كما في الرمز التقليدي المألوف، بل تخلق دلالة كما في الرمز الديناميكي. ولا تتضح هذه الدلالة إلا في عملية القراءة، وما يستدعيه رمز الأرض من اشارات حرة بالمعنى السيميولوجي يغدو كله جزءاً من النص واستجابة لطبيعته المفتوحة.

داخل هذه الاشارات الحرة التي يثيرها رمز الأرض تتجلى ديناميكية الرمز. وبلغة النظرية الرمزية، يتصف الرمز هنا بالايحاء والاستمرار، وليس الاستمرار هنا سوى اسم آخر للآثار الدلالية الحرة التي يثيرها الرمز بوصفه دالاً في عملية القراءة في حين أن الايحاء هو اسم هذا الدال. تصبح العلاقة إذن علاقة ما بين دال حر واشارات سيميولوجية أخرى لا محدودة يثيرها، أو علاقة ما بين ايحاء واستمرار دلالي. ذلك أن المعنى ستاتيكي كما يشير جيرو، في حين أن الدلالة ديناميكية.

ويتصف رمز «الأرض» في «قصيدة الأرض»[16] بهذه الخصائص، فلا نفهم منه المعنى بل معنى المعنى. فإذا ما أخذنا المحور الأفقي أو التركيبي والمحور التواردي الاستبدالي أو العمودي، محور علاقات الحضور ومحور علاقات الغياب لهذه الجملة الشعرية التي يفتتح بها محمود درويش القصيدة، وذلك في إطار النسيج الدلالي للنص:

«في شهر آذار، في سنة الإنتفاضة، قالت الأرض أسرارها الدموية» فإن «آذار» و «الإنتفاضة» و «الأرض» ليست رموزاً تعبّر عن معان سابقة بل رموزاً لآثار دلالية حرة، هي في نهاية المطاف جزء من النص مادام النص يثيرها. فعلى المحور التركيبي الأفقي أو محور علاقات الحضور، يتحول اسم «آذار» في اشارات سيميولوجية متجاورة هي: الاستيقاظ، اخضرار المدى، واحمرار الحجارة، خروج المسيح أخضر مثل النبات، انتفاض الجنس في شجر الساحل العربي، الاخصاب، الربيع الطليعي، الربيع النهائي، افتتاح نشيد التراب، تزويج الأرض لأشجارها، العصافير، الحقول، القمح، دوالي الخليل، المطر، الأزهار، رائحة النباتات، زواج العناصر، الشبق الكوني، العناق الزراعي في ذروة الحب، اشتباك النباتات واشتراكها في انتفاضة الجسم، نمو النباتات صاعدة في اتجاهات كل البدايات، وطن الزراعيين، الزيتون، العشب، جراح الحبيب، رائحة الأرض، حبة القمح... الخ. فكل اشارة متجاورة من هذه الاشارات تستدعي اشارات سيميولوجية عمودية أو استبدالية حرة في علاقات الغياب التي تشكل مجرة دلالات الرمز الديناميكي. فلا يعود آذار هنا دالاً على معنى بالمعنى التقليدي يمكن مركزته منطقياً بل دالاً حراً يثير اشارات سيميولوجية تولّد تأثراً دلالياً بالانبعاث. مثلما يولد الانبعاث أثراً دلالياً بالمستودع الأسطوري للاشارة السيميولوجية. فنحن إزاء شبكة معقدة من التداخلات النصية يستدعيها الدال

الحر. فالجنس: انتفاض الجنس في الشجر زواج العناصر، الشبق الكوني، العناق الزراعي في ذروة الحب، اشتباك النباتات... الخ. ليس معنى العملية الجنسية المألوفة، بل دلالة على فعل انبعاثي كوني، يحيل إلى شبكة من الدلالات المرتبطة بالنمط الأصلي للأرض - الآلهة الأنثى. فيكون الجنس كفعل كوني ولادة جديدة للأرض، يعم فيها الخصب والربيع والأنهار. وداخل ما يستدعيه رمز «آذار» بوصفه دالاً حراً من دلالات ترتبط في عملية القراءة بذلك النمط الأصلي لا تأخذ «سنة الانتفاضة» هنا المعنى المحدد والقار لـ«يوم الأرض» بل الدلالة الكيانية له، دلالة تضميخ الأرض - الآلهة الأنثى - عشتار أو عناة الكنعانية بماء الحياة، «يوم الأرض» كمرجع ضمني للقصيدة يظهر الأثر الدلالي كتجل فلسطيني لـ«عشتار» أو «عناة» التي يرش عليها الفعل أو البراكسيس الجماعي «ماء الحياة» ويبعثها ويجددها في خصب كوني. فنحن هنا إزاء تحويل الواقع إلى أسطورة أي إلى نموذج أصلي. يثير اذن: «في شهر آذار في سنة الانتفاضة» جملة اشارات سيميولوجية ترتبط بدلالات الانبعاث والولادة الجديدة للأرض، فـ«آذار يأتي إلى الأرض، من باطن الأرض يأتي»، انه تجل للأرض. فإذا كان النص يولد أثراً دلالياً يؤلّه الأرض ويضفي عليها القداسة، فإن «يوم الأرض» هو تجل من تجليات هذه القداسة، وتجلٍ لفعل افتدائي قرباني، تكون فيه الفتيات اللواتي يستشهدن على باب المدرسة الابتدائية هذا القربان، وتتحول الفتيات هنا في الاشارات الحرة التي يبعثها الدال إلى لحمة انبعاثية للأرض، إلى قمح وسنابل و«جراح الحبيب».

وليست «جراح الحبيب» سوى «شقائق النعمان» التي تنبت من دم «نعمان» الاسم الكنعاني لـ«تموز». يثير نعمان بدوره اشارة سيميولوجية حرة أخرى يفتحها النص هي إشارة «المسيح». ينهض نعمان في الدورة الكونية للمواسم، في حين ينهض المسيح في الروح.

المسيح هو نفسه تجل آخر لنعمان، لنقرأ: «خروج المسيح أخضر مثل النبات» «اخضرار المدى واحمرار الحجارة»، فـ«الأخضر هنا ليس المعنى اللوني المرتبط به في ظاهر اللفظ، بل هو الانبعاث الكوني للأرض في معنى المعنى أو في الدلالة الضمنية للفظ. وترافق الاخضرار مع الاحمرار، هو ترافق الانبعاث الكوني للأرض والانسان مع الفعل الافتدائي، الذي يموت فيه تموز وكنعان والمسيح وكلهم تجليات لنمط أصلي واحد، أفراداً ويبعثون جماعات أو كوناً».

يكون خروج المسيح من الجرح والريح أخضر مثل النبات يغطي مساميره صعوداً للفتى العربي إلى الحلم والقدس. فنحن هنا إزاء أثر دلالي بالانبعاث والقيامة يكتسب في الانبعاث خصائص قومية - وطنية للذات الجماعية الفلسطينية. فشهر آذار الذي اندلع فيه «يوم الأرض» هو الولادة الجديدة للفلسطينيين، وزمان انبعاث المغني.

وراء التلال
ينام المغني وحيداً
وفي شهر آذار
تصعد منه الظلال.

والمغني كدال حر يستدعي في عملية القراءة تموز أو كنعان الذي ليس إلا عازفاً على المزمار كما في النمط الأصلي، فتصعد منه الظلال، كاشارات حرة إلى قيامه من نومه أو من غيابه في العالم السفلي، فيكون له دلالات القيامة والانبعاث المتداخلة بقيامة الشعب الفلسطيني واندلاعه في يوم الأرض.

يتضح من خلال ما تقدم ويمكن الافاضة به كثيراً (على أنه أحد احتمالات القراءة اللامحدودة) أن الأرض كرمز ديناميكي في القصيدة ذات وجود دلالي حركي مفتوح ينفر من رهنه بأي معنى سكوني قار له أي بأي معنى تقليدي سابق على النص. وعلاقات الغياب التي تملؤها القراءة هي الوجه الآخر لعلاقات الحضور فيه. انها ليست سابقة عليه أو خارجه عنه بل احتمالاً داخلياً من احتمالاته، مادام النص يثيرها ويستدعي آثارها الدلالية المتداخلة نصياً ما بين الأسطورة - الواقع - اللاهوت - الحدث السياسي. والرمز الديناميكي الدرويشي للأرض بهذا المعنى هو رمز مفتوح، محل لكوكبة أو مجرة من الدلالات. اننا هنا لا نقرأ القصيدة بقدر ما ننتجها. فالقراءة فعالية انتاجية تعيد خلق القصيدة، وهي بوصفها لا مركزية ومتعددة، فإن الرمز الديناميكي هنا بطبيعته قابل لقراءات لا محدودة، فالمخزون النفسي والثقافي والروحي والسياسي لعملية القراءة يتدخل برمته وبشكل مركب في تأويل الآثار الدلالية للرمز، بعيداً عن التحديد القار والمباشر لما يحمله مفهوم المعنى، واقتراباً مما يحمله مفهوم الدلالة.

يعني ذلك أن محمود درويش لم يلجأ إلى أسطورة سابقة فصاغها شعراً. ذلك هو الرمز بمعناه التقليدي المحاكاتي المألوف، ولكنه استخدم مخزونه الدلالي وبشكل معقد ومركب في انتاج رمز ديناميكي مفتوح للأرض. فهو لا ينقل الأسطورة بقدر ما يحولها. انه لا يركن إلى معنى، بل ينتج رمزاً قابلاً لتوليد دلالة مشعة. بهذا المعنى فإنه صاحب أسطورة القصيدة مادام يمتلكها وفق الآليات الرمزية الديناميكية للخلق وليس التعبير. فأسطورة العودة الأبدية، أي أسطورة الانبعاث نص مستقل يقيم معه درويش تداخلاً نصياً معقداً. وفي هذا التداخل لا تبقى الأسطورة نفسها بل تتحول وتختلف، وتصبح أسطورة درويشية. فهو يعيد اكتشافها ويخلقها بشكل آخر لتوليد آثار دلالية مفتوحة بقيامة قومه وتشبثهم بجذوره. وكما أن القارىء في عملية قراءته للنص يصبح منتجاً له، فإن الشاعر نفسه في عملية اعادة اكتشافه للأسطورة، وتوليد آثار دلالية مفتوحة منها يصبح منتجاً لها.

نكون هنا في الرمز الديناميكي أمام «سيرورة». تعني «السيرورة» بالضبط انه لا بدء لها ولا انتهاء. ويفسر ذلك لنا أن كل الدلالات الحرة التي أثارتها «شيفرة» درويش الرمزية الديناميكية في «قصيدة الأرض» لا تستند ولو لمرة واحدة على استخدامه الصريح اللفظي لألفاظ تموز أو عشتار أو عناة. لقد تمثل درويش أسطورة العودة الأبدية الكنعانية وقام بفلسطنتها، ولكن شعرياً وفق آليات الرمز الديناميكي المحول إلى نمط أصلي. ومن هنا فإن محمود درويش لا يعبّر عن روح شعب - مع أنه قصد التعبير عنها - بقدر ما يخلقها. فالأثر الدلالي أساساً أثر ناتج عن التركيب أو «النظم» بلغة الجرجاني إن أساسه هو البنية وليس الكلمة المفردة. وكل ما يثيره هذا التركيب، وما يستدعيه من مخزون أو مستودع دلالي يغدو حصيلة له. فنحن في القراءة التفكيكية الموجزة الممكنة وليست الوحيدة للرمز الديناميكي للارض في «قصيدة الأرض» نستنفر تحت وطأة تأثرنا الجمالي، وبشكل عفوي مخزوننا. غير أننا نستنفره ليس وفق ما تقوله أسطورة العودة الأبدية في نصها الأصلي، بل وفق الإشارات الحرة التي تثيرها القصيدة نفسها وتحول إليها وتستدعيها.

ولا أدل على التنافر ما بين «المعنى» و«الدلالة» من أن درويش لا يستطيع نفسه أن يحدد معنى محدداً لما يكتبه. فما كتبه يتنافر مع المعنى ويتفق مع الدلالة. يستطيع نفسه اذن التدخل كقارىء، ويغدو متلقياً ولكن حميماً لما كتبه.

الرمز الديناميكي في التحليل السيولوجي الحديث هو نفسه اذن، ولكن ضمن تحولات متعددة، ايحاء الرمز ودوامه، طابعه التلميحي واستمراريته، وتحويل درويش له إلى نمط أصلي، في شروط «يوم الأرض» يعتمد على وظيفتي التلميح والاستمرار، ولكن عبر زجهما في مستودع اشاري دلالي حر للقراءة، يستدعي آثاراً دلالية تتخطى «المعنى» إلى «معنى المعنى» أو تتخطى الدلالة الصريحة إلى الدلالة الضمنية أو تتخطى ظاهر اللفظ إلى باطنه

...(يتبع)

• كاتب وناقد سوري

سينما "بونويل" في مهرجان دمشق السينمائي العاشر

قوة تكرار الصورة السينمائية تتجاوز عالم الغرائز لتحرر الزمن من الانحدار

بسام سفر

عرض للمخرج السوريالي لويس بونويل خمسة أفلام هم «كلب أندلسي، العصر الذهبي، فيريديانا، حسناء النهار، وسحر البرجوازية الخفي» في قراءتنا هذه نسعى لتوضيح ماهية الأفلام المعروضة وإلقاء ضوءٍ على سينما بونويل وأهم ميزات بونويل كمخرج. إن فيلم البداية لدى بونويل «كلب أندلسي» يقوم على تلاقي وتلاقح دالي الرسام المعروف وبونويل الذي يصف الفيلم بقوله «كتبنا السيناريو في أقل من أسبوع، متبعين قاعدة بسيطة جداً، وضعناها باتفاق مشترك: عدم قبول أية فكرة أو صورة يمكن أن يكون هناك مجال لتفسيرها بشكل عقلاني أو سيكولوجي أو ثقافي، وفتح كل الأبواب على اللاعقلانية، دون أن نتطلب أكثر من أن تؤثر الصور فينا، ومن غير أن نعمل على معرفة السبب».

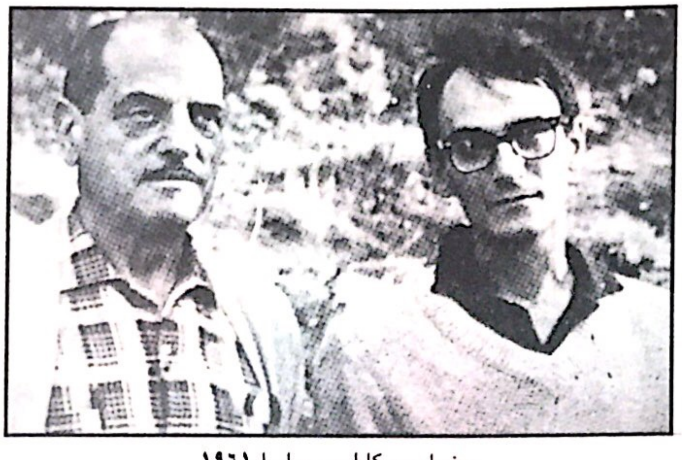
وهكذا يمضي فيلم بونويل ـ دالي الأول إلى اللاعقلانية في شيء حيث نجد «امرأة تمتص اصبعاً لقدم تمثال من الجص، فيما يتركها عشيقها ليجيب على الهاتف، امرأة أخرى تجرح عينيها بالشفرة في لقطة قريبة تعكس تلذذاً بإبراز التفاصيل. يد رجل يلتهمها نمل جائع. جثث حمير متعفنة ملقاة على آلات البيانو».

إن الصدمة الكبيرة التي أوقعها الفيلم في الجمهور الباريسي وصلت إلى حد حصول إجهاضين أثناء عرض الفيلم. وقد طالبت شريحة من الجمهور بمنع هذا الفيلم القذر القاسي.

والفيلم الثاني الذي حققه بونويل هو «العصر الذهبي» وعرض في مهرجان دمشق. حيث يقدم نقداً قاسياً للمجتمع والدين والثروة عبر حب مجنون وقوة دفع لاتقاوم بين الرجل والمرأة تعمل كل الظروف على دفع الواحد باتجاه الآخر، لكن هذا الرجل وهذه المرأة لايلتقيان على الإطلاق. واستقبل الفيلم من الجمهور الباريسي بستة ايام إقبال جماهيري حاشد. أما الصحافة اليمينية هاجمت الفيلم حيث قام أعضاء هذه التنظيمات بمهاجمة صالة السينما وحطموا لوحات المعرض السيريالي المقام في رواق الصالة. وألقوا المتفجرات على الشاشة وكسروا المقاعد... وحصلت «فضيحة العصر الذهبي».

حيث منع الفيلم من العرض خمسين عاماً عُرض بعدها في نيويورك عام ١٩٨٠ وفي باريس ١٩٨١. وعرض فيلم «فيريديانا» الحائز على سعفة كان الذهبية. ويقدم بونويل في هذا الفيلم هجاء مريراً للمثالية الدينية في صراعها مع الوقائع الوحشية للحياة حيث يتم الإستخفاف بجهود راهبة جديدة، تشدد على تعاليم الإحسان المسيحية لمن حولها ابتداء من عمها الشهواني وانتهاء بالشحاذين الذين ترحب بهم في بيتها... وينتهي الفيلم بعلاقة ثلاثية تقوم بين الراهبة «فيريديانا وابن عمها وعشيقته» من انضمامها إليهما ولعبها لورق اللعب معهما.

هذا الفيلم هوجم في لوسيرفا ثورة رومانو مما أدى إلى منعه من قبل وزير الإعلام والسياحة. وأقيل المدير العام للسينما لأنه استلم جائزة مهرجان «كان»...



بونويل مع كارلوس ساورا ١٩٦١

يستخدم بونويل ظاهرة اجتياح الشحاذين والخادمة للوسط الفني من خلال إبراز الغرائز «المستخدمة من قبل الفقراء والأغنياء» نفسها والمصير نفسه. التقطيع اربا، انتزاع القطع، متراكمة البقايا، بناء حقل الأقذار الكبير، واتحاد كافة الغرائز في غريزة واحدة وحيدة هي غريزة الموت. والنزعة الطبيعية المشبعة بالموت. فعملية الإنحطاط (بكل المعاني) ليس الفقراء والأغنياء يسيرون إليها بل الرجال الصالحون ورجال الدين القداسة لأنهم هم ايضاً يتزاحمون على النفايات والفضلات ويظلون ملتصقين بالقطع التي يختطفونها.

فالقديسة الجميلة «فيريديانا» لاتتقدم إلا عبر الشعور الذي يلازمها بلانفعيتها، وبطفيليتها الملازمين لغرائز الخير فغريزة التطفل ملازمة لتيمة «التوله والإشتهاء» هي جزء من تيمات أعمال البر، وأعمال الشر، وتيمات القداسة.

وعرض فيلم «حسناء النهار» الأكثر رواجاً بين افلام بونويل، والحاصل على جائزة الأسد الذهبي من مهرجان فينيسيا السينمائي. الفيلم يمثل حالة تصادم بونويلية نموذجية بين الفسق والأناقة. تلعب كاترين دونوف دور امرأة متزوجة حديثاً، عروس غنية تراقة إلى تذوق الحياة بكافة أبعادها في بداية الفيلم عندما تختطف دونوف وتقيد إلى شجرة وتتعرض إلى اغتصاب جماعي، نعتقد للوهلة الأولى أن رغبتها قد تحققت. ولكننا سرعان ما نكتشف بأن هذا كان مجرد حلم. إلا أن ذهابها فيما بعد إلى بيت الدعارة في الجوار، حيث تقوم بعرض خدماتها حقيقة لاشك فيها. يستمر ثنائي الوهم ـ الواقع حتى المشاهد الخيرة في الفيلم. دونوف أظهرت ملامح شابة برجوازية ماروشية في التجسيد. إن اهتمام بونويل في هذا الفيلم يتركز على الإنحرافات الجنسية وقد صنفه النقاد في قائمة أفضل عشرة أفلام لعام إنتاجه.

والفيلم الأخير من التظاهرة هو «سحر البرجوازية الخفي» الحاصل على الأوسكار وعلى جائزة أفضل سيناريو من الأكاديمية البريطانية، حيث يقوم فيرناندو بدور سفير لبلد مفترض ينظم وزوجته حفل عشاء فاخر. ولكن لايتمكن أحد من تناول الطعام خلال هذا الحفل بسبب توالي الإعاقات المزعجة، كهجوم بعض الجنود وقيام مجموعة من الإرهابيين بقتل الحضور أمام أعين الجميع ليتضح فيما بعد أن كل هذا مجرد حلم وأن حقيقة الأمر هي أسوأ من ذلك بطريقة ما.

في هذا الفيلم يجعل بونويل من الحركات والعبارات المتكررة التي يحبها ويشعر بجاذبية في تكرارها. أساساً يعتمد على الحلم لمساعدته في التكرار ويدخل الحلم داخل الحلم لينفذ عبره ما يريد. هذا التكرار الذي يقوم به بونويل أكثر من مرة يجعل منه قانوناً للعالم حيث أدخل قوة التكرار في الصورة السينمائية ليتجاوز عالم الغرائز. ويدرك أبواب الزمن ويحرره من الإنحدار. فبونويل لم يتوقف كثيراً إزاء الأغراض الغريزية أو التعليمات حيث أعد نموذجاً آخر لإشارة يمكن أن نسميها «دلالة مشهد» تعطينا صورة ـ زمن مباشر من داخل الطبيعة ذاتها ليتجاوزها دون أن ينكرها ■■

فيصل حوراني في كتابه «الوطن في الذاكرة»:

لايزال الجرح طازجاً بعد نصف قرن من الكارثة

وفيق يوسف



من الواضح أن الفلسطيني سيواصل حمل وطنه في الذاكرة إلى زمن طويل قادم، وستظل ذاكرته محتفظة بأسماء المدن والقرى والبلدات، والشوارع والأنهار والجبال والوديان، والأشجار والحقول والسهول...، وكل ما يشكّل حافزاً ومحرضاً على الحنين إلى «الفردوس المفقود»، إلى الأرض المغتصبة وهكذا فإنه من المستبعد تماماً أن تغادر خارطة تلك الأرض شاشة الذاكرة، وعلى الأرجح فإنها ستبقى مبعثاً للحنين والأمل معاً.

«الخارطة موجودة، كما يعرف هذا من يعنيهم الأمر، كافة، في كل مكان يوجد فيه الآن فلسطيني، في أية بقعة من بقاع الأرض. ومن الخطأ أن تتوهم أن الخارطة غدت قديمة. فمنذ صارت الجغرافيا مستودع الفلسطينيين لذكريات الروح، تتالت طبعات جديدة منها وتداولها الناس، فتسنى حتى لمن لم يروا فلسطين رؤية العين أن يحتفظوا بصورتها العزيزة معلقة أمام أعينهم، في المنازل وأماكن العمل والمنتديات العامة».

هكذا يفتتح «فيصل حوراني» ذكرياته عن تلك السنوات المفصلية الحاسمة في تاريخ فلسطين، سنوات الأربعينات المؤرقة، محاولاً استعادة تفاصيل اللوحة بكاملها.

ففي كتابه «الوطن في الذاكرة ـ دروب المنفى» يعود الكاتب إلى تلك السنوات الأولى، ويحكي لنا الحكاية كلها. ولاشك أنه حتى الآن ليس في الأمر ما هو جديد. إذ لطالما سمعنا وقرأنا الكثير حول تلك المرحلة، وهناك من سبق الحوراني في تدوين تفاصيل وذكريات تلك الحقبة الغابرة. ولكن ما غلب على تلك الأعمال إنما كان الإنفعال العاطفي الحار، تحت تأثير طزاجة الجرح النازف، بحيث تراوحت تلك الأعمال ما بين الإدماء الذاتي (تجريح الذات ولومها) وما بين توجيه الإتهامات للآخرين بالمسؤولية عن كارثة الضياع الكبير. أما «فيصل حوراني» فإنه يفاجئنا في مذكراته بما هو جديد حقاً. إنه ذلك الإنفعال «المعقلن» إن صح التعبير، والذي يكاد يكون حيادياً (إن كان الحياد ممكناً حقاً!) وهو يقوم بسرد تفاصيل الحكاية. (كأن الكاتب احتاج إلى نصف قرن أو يزيد قليلاً، كي يتمكن من تحييد مشاعره وصفّها جانباً، وكي يجلس بهدوء عقلاني بارد، ويحاول لملمة أشلاء الذاكرة العتيقة، ولصقها من جديد جرحاً جرحاً، يساعده على ذلك مرور كل ذلك الزمن الطويل، بحيث ابترد الجرح قليلاً وأصبح بالإمكان ملامسته والتدقيق به من جديد!

وبعد أن ينجح «حوراني» في تجميع عناصر الصورة، يبدأ مشروعه في العودة إلى البدايات الأولى. ومحاولة تقديم لوحة بانورامية شاملة عن الحياة اليومية في قرية صغيرة من القرى المتناثرة في الريف الفلسطيني، أوائل الأربعينات، وهي «المسمية الصغيرة».

يقدم الكاتب حكايته بطريقة حوارية، فكان الحديث موجه للآخر. إذ على امتداد النص يستخدم ضمير المخاطب كلما احتاجه الأمر إلى ذلك. فبعد أن يقدم شرحاً تفصيلياً مستفيضاً ودقيقاً لجغرافية القرية وتضاريسها (مما يدل على عمق انغراس تلك التضاريس في ذاكرته) يقودنا إلى بداية القرن العشرين، إلى مرحلة السيطرة العثمانية على بلاد الشام، ومن ضمنها فلسطين، ومعاناة أهالي القرية من الجباة الأتراك وفظاظتهم، والحروب الكثيرة التي كان يُقاد إليها شبان القرية، عنوة، ليحاربوا في بلاد لايعرفونها، لصالح الإمبراطورية المتهاوية. وبعد رحيل الأتراك تنفس الناس الصعداء، ولكن راحتهم لم تدم طويلاً، فقد جاء الإنجليز هذه المرة وبدؤوا يديرون شؤون البلاد، واعتقد الناس أن هؤلاء سيكونون أكثر رأفة من أسلافهم، ولكن ذلك ما لبث أن تكشف عن وهم كبير:

«وقد تبين للفلسطينيين أن الإنجليزي الذي وفد إلى بلادهم تحت رايات التحرير ليس سوى مستعمر، كما اكتشفوا أن هذا الإستعمار يحمل في طياته خطراً تهون أمامه جميع المخاطر الأخرى التي سبق أن تعرضوا لها. رحل الظلاّم الناطقون بالتركية، فجاء الأظلم الناطقون بالإنجليزية، ومع هؤلاء الأخيرين، تدفق الصهيونيون الناطقون بلغات الأرض كلها» ص23 من الكتاب.

ومع تدفق اليهود إلى أرض فلسطين، برعاية الإنجليز ومباركتهم، بدأ القاموس السياسي للمنطقة يعرف للمرة الأولى تلك المفردة الغريبة «المستوطنات» والتي سترافق المسار السياسي والعسكري لتاريخ الشرق الأوسط برمّته على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين. لقد أقام اليهود مستوطناتهم بجوار قرية الكاتب، واحتار الفلاحون البسطاء في تفسير الغاية من وجود هؤلاء الغرباء:

«كان الوافدون الجدد المسربلون بكل أنواع الغموض التي تحيط بمشروعهم، يرطنون بلغات غير مفهومة ولا مألوفة. كانوا غرباء تماماً في كل شيء، بحيث لم يدر أحد كيف يتعامل معهم، فلاهم ضيوف فيكرمون، ولارجال سلطة فيهابون، ولاسواحاً يتفرجون على البلاد فيتفرج عليهم أهل البلاد، بدورهم، ولاعابري سبيل فتقدم لهم المساعدات التي توجب التقاليد تقديمها للمحتاجين».

إلا أن الزمن لايلبث أن يكشف للفلاحين البسطاء طبيعة هؤلاء الغرباء وغرضهم، إذ يبدأ اليهود حملتهم المنظمة لشراء الأراضي من أصحابها. وهنا تبدأ المواجهة التي تتخذ أشكالاً متدرجة: من الرفض إلى الغضب إلى الثورة! وهكذا انفجرت ثورة ١٩٣٦.

ولد كاتبنا في العام ١٩٣٩، اي في الوقت الذي كانت فيه ثورة ١٩٣٦ تتجه نحو الإنطفاء التام، وكان والد الكاتب من الذين شاركوا في الثورة وأبلوا فيها بلاء حسناً، ثم توفي بعد ولادة الصبي بأشهر قليلة، بتأثير جرح أصيب به خلال الثورة.

هنا يبدأ السيناريو الحقيقي، أو «الدراما الحقيقية» لهذه المذكرات.إذ أن الغاية منها - في ظني - ليست التوثيق أو الأرشفة أو الحديث عن التقلبات السياسية والعسكرية التي عانتها تلك البلاد طويلاً، وإنما تكمن الغاية أساساً في استعادة رائحة الزمن المفقود، رائحة زمن كانت الحياة فيه تجري بإيقاعها الهادئ النشوان، الحياةالطبيعية، العادية، اليومية التي افتقر إليها الفلسطيني منذ خرج من أرضه، فبات ينظر بدهشة وحنين إلى تلك التفاصيل اليومية العادية للغاية، وذلك لسبب بسيط، هو أنه لم يعد في حياته ماهو عادي، فكل حياته إنما انقضت في توتر وأحزان لانهاية لها.

لذلك يسترسل الكاتب طويلاً، وفي فصول متعددة، في توصيف الحياة اليومية لقرية عادية، فيحدثنا عن طقوس الزراعة والحصاد الموسمي، عن جغرافية البيوت، عن «فصافة» كل بيت وطقوس تقديم القهوة العربية فيها، عن الطعام وأنواعه المتداولة، عن طبيعة العلاقات الإجتماعية السائدة بين البشر، والمحكومة بالبنية العشائرية التقليدية، وعن دور عائلة الكاتب في زعامة القرية....

ويسترسل الكاتب أكثر في وصف حياته العائلية في منزل جده، حيث احتوته الدار الواسعة، ليقضي فيها تسع سنوات هانئة إلى حد ما، بحكم كون جدّه ميسور الحال، وكون الطفل يتيماً، وفوق هذا فهو ابن شهيد من شهداء الثورة، لذلك حظي هذا الطفل بمعاملة خاصة في البيت. فتفتحت عيناه على الحياة بدهشة، وبدأ يكتشف تلك التفاصيل الحميمة اليومية التي تبثها الحياة دون توقف، ويخزنها في ذاكرته.

لاشك أن سنوات الأربعينات شكلت منعطفاً حاسماً في ذاكرة كل فلسطيني حي، إذ في تلك السنوات حدثت القطيعة الكاملة بين «الماقبل» و «المابعد»، بين الحياة الطبيعية والحياة التي لايوجد فيها ما هو طبيعي، بين لحظة الإمتلاك ولحظة الخسارة، بين إيقاع الحياة الهادئ المتوازن، وبين إيقاعها المتوتر والمتشنج...، لذلك تختزن الذاكرة كل ذلك الحنين إلى سنوات ما قبل الكارثة ١٩٤٨، وهو ما سنلحظه بوضوح في توصيف (فيصل حوراني) لسنوات طفولته الأولى ١٩٣٩ - ١٩٤٨، وهي السنوات التي شهدت تفتحه الأول ودهشته الأولى وأفراحه الأولى. ولذلك يسترسل طويلاً في وصف تفاصيل حياته البيتية وعلاقاته الأسرية ولعبه وطعامه ومدرسته ورفاقه وبيته.

لكن مشروعه يتلخص في حماية الذاكرة من النسيان، حتى يصل إلى السنوات الحاسمة، حينما تبلور المشروع الصهيوني بوضوح، وإنسحب الإنكليز تاركين فلسطين لقمة سائغة لليهود، الذين بدؤوا بشن غاراتهم على القرى والبلدات العربية، واحتلالها الواحدة تلو الأخرى، ليخرج الأهالي من الأرض بعد سلسلة من المذابح والمجازر والمقاومة. ويخرج الطفل (الكاتب) من فلسطين إلى مصر فلبنان فدمشق أخيراً، تاركاً نصف عائلته جثثاً تحت الأنقاض.

«وجدتني ألوذ بأمي، أدفن وجهي في ثيابها ثم أبكي دون توقف، ولم تحاول الأم حتى هدهدتي، بل تركتني بحالي وأخذت تمسّد يدي بحركة ذاهلة، ويبدو أن اهتياجي المفاجئ نبه المحيطين بي إلى أنهم لايستطيعون أن يظلوا جامدين إلى الأبد. فالخال تقدم ليتمعن فيما بقي من محتويات الدكان. والعم قال بنبرة جعلها الأسى باهتة «لافائدة»! والأم حثته على الإنصراف: لقد رأى الولد اليوم ما يكفيه طول العمر، ويزيد!».

وهكذا اتجهت العائلة - أومابقي منها - إلى دمشق، لتبدأ مرحلة جديدة من الإغتراب والمنفى الطويل، والذي لم يكن أحد يتوقع - آنئذ - أنه سيطول كل هذا المقدار من السنين.

«كان كل ما فينا من طاقات قد استنفد، فلم تبق لنا قدرة على الفرح أوالحزن أو حتى القلق. خلفنا وراءنا حياة تعددت فيها الألوان وتنوعت المشاعر. وهانحن نقبل على عالم جديد، لانتبين ألوانه ولانتعرف على مشاعرنا إزاءه، إنها خانة الصفر، أو هي دون الصفر».

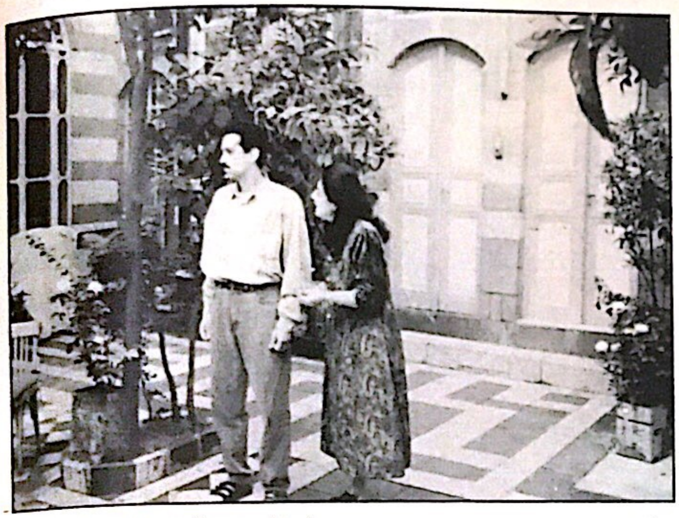
وهكذا على امتداد ٤٤٤ صفحة يقودنا فيصل حوراني في رحلة التيه الطويلة التي عبرها الفلسطيني في العصر الحديث. ويحكي لنا الحكاية كلها، بتفاصيلها المرة والحلوة (إن كان قد بقي فيها من حلاوة). وقد يبدو من الغريب أن يحتاج الكاتب للحديث عن تسع سنوات فقط من طفولته، إلى كل هذه الصفحات، ولكنه تقصد ذلك فيما يبدو، تقصد الإسترسال في ادق التفاصيل، وتوصيف المشهد جزءاً جزءاً، وتقديم اللوحة لوناً لوناً، وذلك بغية إبقاء الذاكرة حية، كسلاح فعال ضد النسيان.

إذن، بالإضافة إلى القيمة الوثائقية والتاريخية لهذا الكتاب الذي يقدم لوحة بانورامية شاملة عن الحياة في فلسطين، طوال حقبتي الثلاثينات والأربعينات، فإن له فائدة أخرى تتمثل في إنعاش ذاكرة النسيان■■

الانهيار
الطموح وانكسار الأحلام

تحقيق أحمد الخليل





سعادة الانسان مرتبطة بتحقيق حلمه والحلم يسيّره الطموح وبدون ذلك لا تتطور الحياة، لكن حين لا يعرف الانسان كيف يحقق طموحه قد يؤدي هذا لكارثة مدمرة.

الانهيار مسلسل تلفزيوني جرى تصويره في احدى ضواحي دمشق، كتبه الفنان جهاد الزغبي واخراج محمد الشليان ويؤدي الأدوار الرئيسية فيه فاديا خطاب ـ طلحت حمدي ـ خالد تاجا ـ عدنان بركات ـ عارف الطويل ـ نجاح العبدالله ـ سليم صبري ـ فرح بسيسو ـ ليلى عوض ـ جهاد الزغبي ـ رياض نحاس ـ أميمة الطاهر ـ أماني الحكيم ـ ضحى الدبس... وآخرون. وحول هذا العمل كان لنا التحقيق التالي:

ـ الفنان جهاد الزغبي حدثنا عن المسلسل الذي كتبه قائلاً:

في المسلسل مجموعة خطوط تسير مع بعضها، لكن الفكرة الرئيسية التي يتمحور حولها العمل هي «الحلم والطموح عند الانسان» في هذا الزمن الذي نعيشه الطموح شيء مشروع، والحلم الذي نقصد ليس بالضرورة حلماً فاعلاً وايجابياً فممكن ان يكون الحلم حلم يقظة يشل فاعلية الانسان ولا يرقى إلى امكانية التحقيق، الخط الأول في العمل تمثله عائلة أبو سعيد حيث اتكأتُ في رسم شخوص العائلة على شخصية ابو سعيد الفلاح البسيط الذي شاءت الظروف أن تصبح المنطقة التي يقع فيها بستانه ضمن الأبنية البيتونية المعدة للسكن والتجارة، ولم يكتفِ صاحبها في الوقوف عند هذا الحد بل قرر الزحف والامتداد للاستيلاء على تلك البقعة الخضراء في حين أن أبا سعيد الذي يعيش مع أسرته في بستانه لا يدري بما يجري من حوله بل كان يحلم ويطمح لتطوير وضعه عن طريق امتلاك سيارة نقل صغيرة بدلاً من العربة التي يجرها الحمار هذا هو الحلم المشروع الذي يهدف من ورائه صاحبه سرعة توزيع نتاج عمله وتحقيق فائدة مادية ونفسية ولأنه لا يعرف كيفية تحقيق هذا الحلم، يقع في براثن أصحاب النفوس المريضة المتطلعة لامتلاك الثروة ولو على حساب الانسان.

الخط الثاني في العمل يتحدث عن نفس الموضوع ولكن بوسائل وأساليب مختلفة تكمل الفكرة الرئيسية للعمل ويمثل هذا الخط عائلة أبو العز ذلك الشخص الوطني الشعبي الذي يتمثل طموحه بعودة ابنه الذي يدرس الدكتوراه في فرنسا.

الخط الثالث تمثله عائلة أم حسان وهي عائلة ايجابية في العمل حيث هي متعاونة متضامنة فيما بينهم.

هناك نقطة هامة في المسلسل وهي الانسان والذي يهمنا أكثر من الشجرة والأرض، فتكوّن الانسان وأهميته تفوق أهمية أي شيء آخر.

ـ الفنان طلحت حمدي يقول: دوري في العمل هو شخصية أبو سعيد الفلاح البسيط الذي يطمح إلى تغيير وضعه بأن يتخلص من العربة ويستبدلها بسيارة صغيرة فيقع فريسة لشركات البناء.

ـ وحول أهمية دوره يقول الفنان طلحت: إن هذه الشخصية تلقي الضوء على مسألة الانهيار الأخلاقي وتهدم القيم والعلاقات الانسانية.

ـ الفنانة فاديا خطاب تقول عن دورها: أم سعيد امرأة بسيطة تعيش مع زوجها وأولادها وتشكل الأرض عندها شيئاً عظيماً فهي تعطي الاحساس بالانتماء، لذلك ترفض فكرة بيع الأرض وعلى استعداد لخسارة أي شيء إلا الأرض والجديد في دوري انه يبعدني عن أدوار المرأة الارستقراطية فالمشاهد سوف يراني أحرث الأرض وأجني الثمار ولقد تم تصوير مشاهدي في وقت الظهيرة والحر بهدف ايصال صورة واقعية عن المعاناة.

ـ الفنانة ليلى عوض تقول: ألعب دور سكرتيرة لأحد التجار الذي يملك شركة وهمية يستطيع من خلالها النصب والاحتيال على الناس البسطاء، والدور يتمحور حول هذه الفتاة التي تعمل في جو موبوء مليء بالخداع والكذب والنصب.

ـ الفنان عارف الطويل: يقول: هناك محوران في الشخصية، الأول هو علاقته مع أسرته ودخول زوجته الاجنبية إلى بيئة شعبية وعدم قدرتها على التكيف مع هذه البيئة مما يؤدي إلى عودتها إلى بلدها فرنسا برفقة ابنها، وهنا يتناول الكاتب جهاد الزغبي مسألة مهمة وهي أن حضارة الزوجة الأصلية لا تلتقي مع حضارة الزوج وبالتالي فشل الزواج. أما المحور الثاني يتناول علاقتي بالعمل فأنا موظف في شركة أوفدتني إلى فرنسا للدراسة ضمن منحة وبعد عودتي التحقت للعمل فيها وأثناء العمل أتعرض لمجموعة من الضغوطات التي يقف وراءها تجار البناء ويقدمون لي الرشاوي في سبيل القبول برغباتهم.

ـ عدنان بركات: ألعب دور شخصية أبو العز وهو انسان وطني وشعبي يدافع عن أسرته ويسعى للعيش مع ابنه الوحيد معتز وهو يطمح ليلم شمل أسرته، لكن دون أن يعرف ما هي رغبة معتز وهو بذلك يلغي شخصية ولده وينسى تطور الحياة وقوانينها ■■

قصة قصيرة

مجنون الحب

سُهيل الشمار



لم أعد أحتمل

لا أعرف تماماً كيف فقدتُ هذا المساء السيطرة على أعصابي التي حرقها الإنتظار وشواها الصبر والقلق...

وجدتُ نفسي فجأة في الشارع....وللحظة، خاطفة وسريعة كالبرق، تجمّدتُ في مكاني حين التمع شيءٌ كبير ومضيء كان معلقاً في الفضاء بين الغيوم الرمادية الحزينة التمع داخل عيني الكئيبتين الطاعنتين في الحزن والضياع، التمع بشدة كأنه يريد أن يذكرني بشيء ما، حميم وطيب يشبه جمال الروح، وغلاوة الدم.

انتابني تلك اللحظة إحساس مرير بهزيمة قاسية، وشعور موحش بالغربة عن نفسي وعن هذا العالم الذي بدأ يتحطم الآن ويتداعى... كانت لحظة عجيبة، مليئة بالخوف والدهشة، حرّكت بداخلي العالم، ودمّرت الأحلام المتبقية في رأسي...

لقد رأيتُ القمر!

يا إلهي!!

لم أصدق...

رأيته مكتملاً كأنه في عرس، يضيء وجه المدينة بضوء فضي ناعم، ويملأ الحارات والأزقة الضيقة بأثواب بيضاء، شفافة، ويغسل قمم الأشجار والجبال البعيدة بالسحر والروعة.

لكن كل ذلك اختفى فجأة.... وظهرت لي صورة «دورا» مرسومة على سطح القمر الكبير...

لقد قالت لي في آخر لقاء:

«تذكرني كلما التمع في عينيك ضوء القمر...»

وفجأة سمعتُ صوتي يرتفع نحو السماء:

دورا... دورا...!

ثم أحسستُ بقدميّ تركضان في شوارع المدينة... كانت السماء كبيرة في تلك الأمسية الحزينة من خريف شاحب ومريض... وكانت الغيوم القادمة من وراء الجبال، سوداء معتمة، محشوة ببروقٍ وانفجارات عديدة...

قلتُ بيني وبين نفسي:

ليتها تمطر...

ثم سمعتُ صوتي يردّد مرة أخرى:

دورا... دورا...ا...ا...

وكانت المدينة كبيرة ايضاً كحزني العميق، وأوسع من قبل، عامرة بالضحك، والضجيج، واضواء السيارات ومحلات الألبسة، ودور السينما...

لم أكن أتوقع أبداً أن هذه المدينة ستتحول في يوم ما، إلى وحش كبير، يشبه الغول... أوتلك الوحوش التي انقرضت منذ ملايين السنين والسنين... لقد بدأت تتحوّل إلى مدينة أخرى، ثم بدأ ينبت لها أظافر وأنياب حادة وطويلة، وهاهي تمتدّ الآن لتقبض علي وتخنقني...

إن حبي الشديد الصادق والمخلص هو سبب كل مشاكلي... في البداية كنتُ أجمل مخلوق، وأسعد مخلوق اندهش كالأطفال بأبسط الأشياء، ولأبسط الأشياء... كنت أغني مع نفسي ولنفسي، واضحك من أعماق قلبي.. أما اليوم.. فقد تغيرت المدينة.. تغيّر وجهها وأرصفتها وشوارعها ولون أشجارها.. أجل... لقد تغيّرت اليوم كثيراً، لقد غيّرها حبّي الفاشل والمنهزم، حبي الذي رحل باكراً، فانكسر وكسرني...

اختلطت الأمور في ذهني واضطربت... ولسبب ما أحنّ الآن لأن أعود إلى قريتي البعيدة...

آه... كم أنا مشتاق الآن لأعود إلى هناك... ولأتسكّع في أزقتها الضيقة، الحميمة... أعود لأرى رفاقي الذين اصبحوا شباباً مثلي.. ولأزور أولئك الذين علّموني وسهروا معي، وتعذّبوا وفرحوا من أجلي... ولأجلي لعل أحدهم يدلّني على الخلاص!! ويجعلني أعيش في هذا العالم لبعض الوقت...

تقع قريتي في المنطقة الجنوبية من هذه البلاد الكبيرة، سكانها طيبون، يسامحون بعضهم، ويساعدون كل من يريد المساعدة في قطف العنب وجمع مواسم القمح والزيتون... فلاحون عجنتهم الأرض وخبزتهم... يحبون الغريب، ويحتفلون به، ويغنون له طوال الليل..

يعملون ويغنون اثناء العمل، يضحكون من أعماق قلوبهم ربما ليخفّفوا من آلامهم وتعبهم... ومن قسوة الحياة والزمن.لكنهم لايحبون السهر كثيراً.. ينامون في أول الليل إذا لم يكن هناك ضيف ـ يحلمون تحت ضوء القمر والتماع النجوم، بمواسم أكثر خيراً وعطاءً، ثم يستيقظون على اصوات العصافير وشجارها... وعلى صياح الديكة العنيدة، وأغنيات فريد الأطرش بصوت هنيدي المهبول...

آه... تذكرت...

أجل...هنيدي!!

هنيدي...ذاك الشاب الحزين، والمجنون.. لكنه لم يكن مجنوناً قبل أن يتسرّب الحب إلى قلبه.. كان هنيدي من زينة شباب القرية، يحب كل الناس ويقدم لهم المساعدة في مواسم الحصاد، وغير الحصاد...

لكن.. ذات مساء أحب هنيدي فتاة حلوة، وجميلة، أهدته عدة أشرطة «كاسيت» لفريد الأطرش، لكن حبها لم يكتمل بسبب عادات البشر، وقوانين العائلات والعشائر...

كنت صغيراً... وقد سمعت هنيدي يقول قبل جنونه:

«أنا لم أختر أمي ولا أبي... فدعوني أختار حياتي وحريتي... دعوني أختار مستقبلي ومستقبل أولادي...»

وقفت الفتاة ضد أهلها، وتحدّت عائلتها باسم الحب، وباسم الإنسانية، ووافقت على أن يكون هنيدي عريسها... لكن الأهل رفضوا وقامت قيامتهم ولم تقعد...

ذات صباح خريفي بائس، سُمع ولولة ملات شوارع القرية وبيوتها... ثم عُرف بعد ذلك أن حبيبة هنيدي انتحرت! أما هنيدي فقد جُنّ بعد ذلك...

وما يزال حتى هذه الدقيقة، يركض في شوارع وأزقة القرية، وهو يردّد اسم حبيبته ويغني لها بصوت حزين... ثم يجلس تحت شجرة ما، أو إلى جانب حائطٍ قديم ليبكي حبه الضائع بلوعة ومرارة قاسية.

وقد نسيتُ هنيدي بعد انتقالي إلى المدينة... لكنني أجد نفسي الآن ـ ودون شعور ـ مضطراً على أن أتذكّره... وأتذكر معاناته الشخصية، وجنونه الشخصي...

إنها تمطر...

أتذكّر الآن هنيدي وأنا أركض.. أتذكره بوضوح، بوجهه الكئيب، وعينيه العاشقتين، الحالمتين دائماً... وبثيابه البسيطة والنظيفة المرتبة، وكأنه على موعد مع حبيبته دائماً...

إنني أشعُر تماماً الآن، وفي هذه اللحظة بالذات أن هنيدي الحزين، البائس، هو اقرب انسان إلى حالتي، وإلى نفسي وجنوني...

إنها تمطر... مطر له لون الرماد، وطعم الملح، ورائحة الموت والجنون، وهاأنذا، مازلت أركض في شوارع المدينة، ألمح بين لحظة وأخرى وجه القمر، يلتمع ضوءه داخل عيني الكئيبتين... وأسمع صوتي يرتفع عالياً، مردداً اسم حبيبتي...

وأعتقد أنني سأستمر في ركضي... وفي جنوني...

عزف منفرد

أحلام رجل أربعيني

يختنق الرجل الأربعيني يومياً في أحلامه الصغيرة. هي ليست أحلاماً تماماً، وإنما مشاريع أفكار يهجس بها ويرغب في تحقيقها من كل قلبه، ورغم أن هذه الأفكار تقع في دائرة اهتماماته، إلا أنه في كل مرة يفشل في تحقيقها.

مثلاً، يفشل في قراءة الكتاب الذي فكّر مراراً في قراءته، ويفشل في إنجاز ذاك المقال الذي شرع في كتابته. . . الرجل الأربعيني يحلم .. ويحلم .. ويحلم . يحلم مثلاً بكتابة رواية هامة يصب فيها حصيلة تجاربه المتنوعة، ويحلم أن يتحقق ككاتب مهم يتردد اسمه بالصحف والدوريات التي يراسلها .. وأخيراً بدأ يحلم بكتابة سيناريو درامي يدر عليه بعض الأموال، لعله يخرج من أزمته المالية المستعصية .. الرجل الأربعيني يحلم أن يكون أفضل بنظر نفسه، ونظر الناس المحيطين به، ولأنه لم يعد شاباً بات يخجل من أحلامه الصغيرة والمشروعة تلك.

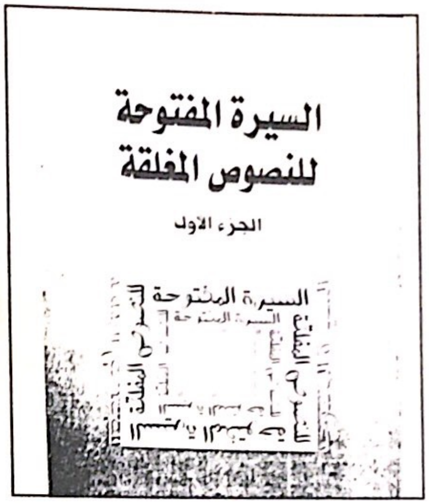
في كل مرة يسأل الرجل الأربعيني نفسه: لماذا لا أقوى على إنجاز ما أرغب في إنجازه ؟! وفي كل مرة يجد الأعذار والمبررات الواهية لنفسه،أحياناً بحجة الظروف العائلية الصعبة التي تثبط همّته وتستهلك معظم طاقاته، وأحياناً بحجة تفاصيل عمله اليومي الذي يستغرقه – وإذا ما أراد أن يكون صادقاً مع نفسه يقول: ربما لأنني لا أملك الطاقة الكافية، أو الموهبة اللازمة لإنجاز ما أحلم في إنجازه .. فالناس طاقات متفاوتة ومواهب مختلفة ...

الرجل الأربعيني الذي بات يسخر من أحلامه، وراح يحاسب نفسه بصرامة، مازال يستسلم بسهولة لدعوات الأصدقاء على سهرات العشاء، ومابرح يسترخي مستسلماً لساعات أمام شاشة التلفزيون التي تبث ما تيسر من التفاهات .. ومازال يفضل نَفَسْ "أركيلة" في مقهى النوفرة عن اي محاضرة، أو ندوة، أو أمسية ثقافية مهما كان شأنها!!

وحينما عقد الرجل الأربعيني العزم بجديّة على نفض غبار الكسل والتراخي، والخروج من مستنقع حالته وافته المنية فجأة لتظل أحلامه مجرد أحلام!

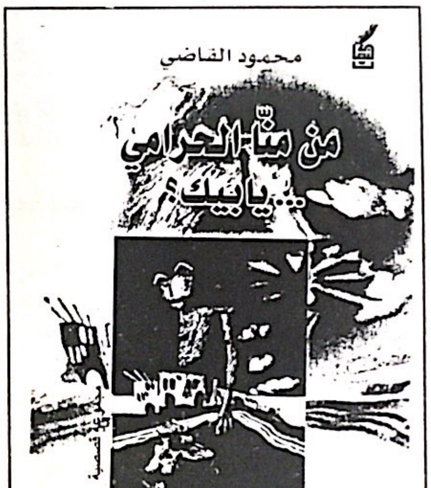
علي الكردي

السيرة المفتوحة للنصوص المغلقة



● صدر عن دار كنعان الجزء الأول من كتاب «السيرة المفتوحة للنصوص المغلقة» للكاتب خالد آغة القلعة. وهو كما قال د. أحمد برقاوي: «كتاب فيلسوف في إهاب شاعر يتحد فيه المنطق والحدث، بل قل هو مغامرة في الفض، فض التجربة والوعي واللغة. مغامرة في الحفر العميق، في الأحوال والأقوال. حال الكائن الذي يختبئ في أناه السرية، وقول الكائن الذي يخبئ هذه الأنا (...) بكلمة واحدة ـ السيرة المفتوحة للنصوص المغلقة هجوم على اليقين الميت وإحياء لبذرة الشك. إنه خطاب في الحرية».

من منّا الحرامي ... يا بيك؟



● وعن دار كنعان أيضاً، صدرت حديثاً مجموعة قصصية للكاتب الفلسطيني محمود القاضي بعنوان: «من منّا الحرامي... يا بيك» سبق وأن أصدر الكاتب كتاب «شيء من الذاكرة»، وهو عبارة عن سيرة ذاتية، قال عنها بعض النقاد إنها شيقة وممتعة ومن أفضل ما كتب عام ١٩٩٥.

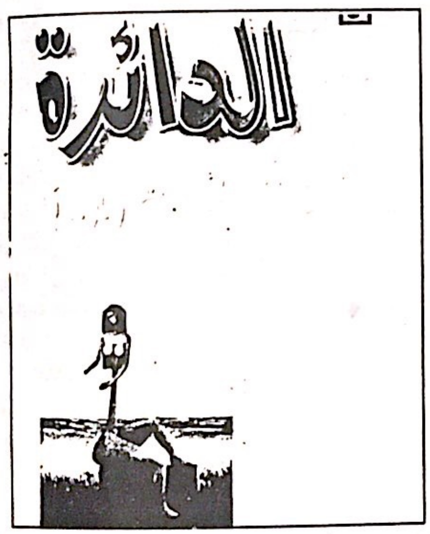
مجموعته الحالية هي تكملة لسيرته الذاتية، سيما وأن الكاتب من مواليد «الخليل» عام ١٩٢٣، عمل موظفاً في حكومة الإنتداب البريطاني إلى أن حلت النكبة عام ١٩٤٨، حيث انخرط في العمل السياسي، واعتقل عدة مرات، وصار واحداً من رموز الجبهة الوطنية الأردنية التي تشكلت في أوائل الخمسينات، وعاش لاجئاً سياسياً في سورية، ومن ثم سافر إلى ألمانيا الديمقراطية، حيث تابع تحصيله العلمي. عمل مستشاراً زراعياً لمنظمة التحرير الفلسطينية وبعدها خبيراً مع منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة.

موكب البط البرّي لـ علي الكردي



● وعن دار كنعان بدمشق صدرت حديثاً مجموعة قصصية للزميل علي الكردي بعنوان «موكب البط البرّي». تحتوي المجموعة على ثمان قصص قصيرة كُتبت بين الأعوام ١٩٨٦-١٩٩٠. استخدم الكاتب تقنية الحلم التي ظهرت على شكل كوابيس غرائبية ترصد حالة الإنسان المرعوب في ظل القهر الذي يعانيه عالمنا العربي المعاصر. قدّم للمجموعة الدكتور فيصل درّاج، وصمّم الغلاف الفنان يوسف عبدلكي.

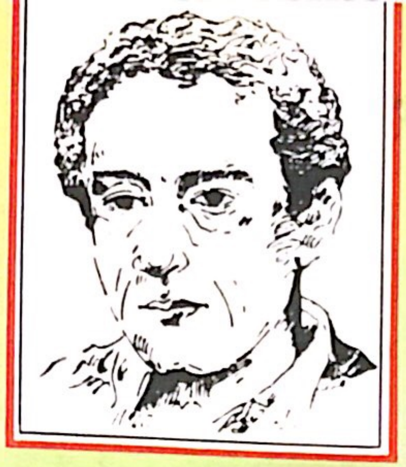
الدائرة



● صدر حديثاً عن دار كنعان مجموعة شعرية بعنوان «الدائرة» للشاعر مائن عبد الكريم السليم. صمّم الغلاف الفنان جمال الأبطح ومن أجواء المجموعة:

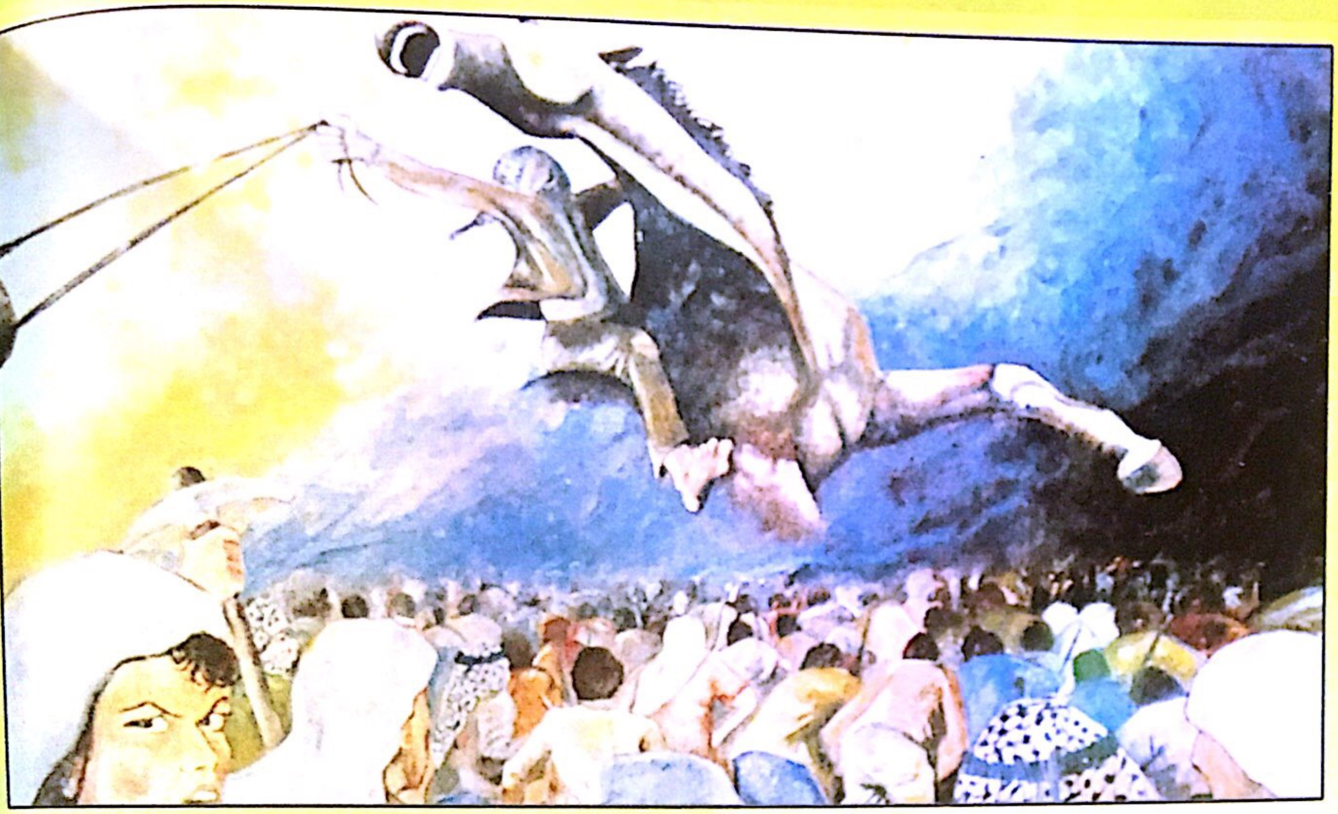
حدثوني عنك قالوا بسمة
رسمتها الشمس في وجه القمرْ
آية... بل سورة.. بل مصحفٌ
مذهبٌ... دينٌ جديد قد ظَهَرْ!!
منكِ صاغ الله أبهى لوحةٍ
إن تصفها لغةٌ فهي البَصَرْ!!

ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم









نداء

إلى الشعب الفلسطيني والأمة العربية وإلى كل قوى التقدم والحرية في العالم

بعد مرور نصف قرن على تأسيس الحركة الصهيونية، وبينما كانت البشرية تحتفل وتنعم بالحرية بعد هزيمة الفاشية والنازية في الحرب العالمية الثانية، سارعت الحركة الصهيونية إلى الإعلان عن قيام «اسرائيل» كتجسيد لمشروع توسعي، عنصري قائم على العدوان والإرهاب.

في النصف الأول من العام الجاري، وتحديداً في الخامس عشر من أيار تحل الذكرى الخمسون لأبشع جريمة في هذا العصر، جريمة اغتصاب فلسطين وتشريد واقتلاع أهلها تحت شعار زائف «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

خمسون عاماً، هي عمر الشتات والنفي، المعاناة والتبديد، القتل والمجازر الجماعية التي تعرض لها الشعب الفلسطيني والعربي على يد الصهيونية والقوى المتواطئة معها.

خمسون عاماً من التوسع والعدوان والإحتلال والتهديد والحروب وصنع أسلحة الدمار الشامل لإضعاف الأمة العربية والهيمنة على مقدراتها وعرقلة شروط نموها وتقدمها.

استطاع المشروع الصهيوني أن يحقق الكثير من أهدافه قفزة وراء قفزة ولم يتمكن العرب من دحره وإيقافه، رغم كل التضحيات والمقاومة. ولهذا بالتأكيد اسبابه وعوامله الموضوعية والذاتية التي تحتاج إلى تحليل ورؤية منهجية تاريخية نقدية وجريئة تجيب على سؤال: لماذا وصلنا إلى ما وصلنا إليه؟ لكي نتمكن من مواصلة خوض الصراع التاريخي المفتوح والمتواصل مع المشروع الصهيوني وتحالفاته. والذي لن يستطيع أحد إنهاءه باتفاقات وقرارات طالما أن أسبابه وجذوره قائمة ومستمرة.

لقد كشفت الحقائق بجلاء خلال الخمسين عاماً الماضية أن اسرائيل حالة عدوانية وظاهرة استعمارية توسعية، تهدد كل شعوب المنطقة.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تتوجه بنداء الى كل القوى الحية في الأمة العربية على المستويين الشعبي والرسمي، وإلى كل الفاعليات الثقافية والإجتماعية والجماهيرية والفكرية ومراكز البحث العلمي لتسليط الضوء على ذكرى جريمة العصر، ذكرى الخامس عشر من أيار لكشف حقائق الصهيونية وإسرائيل وشرورهما، ليس على الشعب الفلسطيني فحسب، بل على الأمة العربية والمجتمع الإنساني بأسره.

إننا ندعو إلى أوسع حملة عربية وعالمية للقيام بفاعليات ونشاطات شعبية وثقافية وعلمية تفضح حقيقة الصهيونية وعنصريتها وتهديدها للأمن والسلم في العالم أجمع.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
شباط ١٩٩٨